
المسيرى فيلسوف المفكرين والبسطاء
الدين والعلم صدام أم تكامل
فلسفة التحريم فى المذاهب الفكرية العلمانية
القوامة ودورها فى الحد من الطلاق
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
قيمة الجمال ومقاصدها
شذرات ثقافية
العدد ٨
الفريضة الغائبة وجدلية العنف
تحدى داروين
فى الكوسمولوجيا
الحق المبين فى الرد على القرآنيين
ملحق العدد : خواطر يوميات متأمل


مجلة شذرات ثقافية
العدد الثامن
د. فؤاد السعيد
المسيرى فيلسوف المفكرين والبسطاء

المسيري..

فيلسوف المفكرين والبسطاء

فؤاد السعيد❖

لماذا لم يظهر بيننا نحن العربَ فيلسوف معاصر؟ وهل كتب علينا أن يظل مفكرونا مجرد نقلة أو شارحين لمتون الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة؟ ولماذا لا يتجرأ مفكرونا على التفلسف المباشر إزاء مشكلات حياتنا العربية وظواهرها العديدة التي أصبحت تصدمنا وتفاجئنا كل يوم بجديد؟ لماذا يفضلون مواجهتها من وراء حجب كثيفة من النظريات والمناهج والمفاهيم الغربية (والغريبة) عن واقع ثقافتنا وخبراتنا الاجتماعية والحضارية الخاصة؟

أسئلة عديدة لا يمل الناقد للفكر العربي المعاصر من تكرارها، وهي أسئلة مناسبة تماماً مدخلاً لمحاولة تحديد القيمة الحقيقية لمفكرنا العربي الدكتور عبد الوهاب المسيري، الذي توهج فكره وحقق درجة غير مسبوقة من الذيوع والانتشار خلال العقد الأخير بين قاعدة واسعة من المثقفين والقراء العرب، تجاوزت المعايير المتعارف عليها بالنسبة إلى مفكرينا الكبار، خاصة ذوي الأفكار الفلسفية والنظرية التي عادة ما تستعصي على القارئ العادي وعلى المثقف أيضاً في كثير من الأحيان.

❖ باحث المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة.

من منظور التقويم التاريخي، يمكن القول: إن المسيري قد وصل بحركة تحرر الفكر العربي المعاصر من سطوة الفكر الغربي عليه إلى ذروتها بعد عقود من الانبهار بالإنجاز الحضاري والتنظيمي والفكري للحضارة الغربية الحديثة؛ فعلى الرغم من صعود مفهوم الاستقلال السياسي عن الاستعمار الغربي مع ظهور حركات التحرر الوطني والقومي في عالمنا العربي في منتصف القرن الماضي إلا أن التبعية الفكرية ظلت حاضرة لدى الاشتراكيين أو الليبراليين سواء بسواء، كما ظلت التبعية حاضرة أيضاً في أنماط الحياة الاجتماعية التي طبعت المدينة العربية بالطموح نحو نموذج المدينة والحياة الأوربيين. وعلى المستوى الفكري ظلت النظريات والمناهج الغربية هي المنهلَ الوحيد لمفكرينا طوال عقود عديدة ، وكأنه لا توجد في العالم كله سوى حضارة واحدة هي الحضارة الغربية دون غيرها؛ وفي هذا المناخ بدت أمتنا العربية صفحةً بيضاءَ ينبغي تسويدها بمداد الغرب وحده.

وإلى جانب حالة المد الديني التي عمت المنطقة بعد نكسة يونيو ١٩٦٧م والتي عبرت عن الرغبة في التمسك بآخر معاقل الهوية، وبعيداً عن نزعات الرفض المطلق لكل ما هو غربي، بدأت إرهاصات نوع جديد من الفكر العربي المستوعب للإنجاز العلمي الغربي ولكن الناقد له في الوقت ذاته، وربما يمكن القول: إن هذا التيار الجديد قد بدأ مع نهاية السبعينات من القرن الماضي وتجسد إنجاز في مفكرين جدد لهم قدم راسخة في الفكر الغربي الحديث وقدم أخرى في خصوصية التراث العربي الإسلامي، ونجحوا حقّاً في كسر تلك الازدواجية القديمة التي قسمت النخبة العربية بين إسلاميين تقليديين منقطعين عن أصول الحضارة الحديثة، ورجال ثقافة من حملة الفكر الغربي المنقطعين بدورهم عن خصوصية تراثهم الحضاري بشكل كامل.

تدريجياً تجسدت هذه الحركة الفكرية الناهضة تحت شعارات فكرية متعددة من قبيل "نحو علم اجتماع عربي" أو "أسلمة المعرفة" (الغربية)... إلخ، ويمكن القول: إن الدكتور عبد الوهاب المسيري كان دائماً في القلب من هذه الحركة الفكرية الجديدة الخلاّقة، بل كان الفارسَ المبرز فيها ، والعنصرَ الحافِزَ لأفكار أعضائها بجرأته الاستثنائية في رفض طريق الفهم والتحليل الغربية التي فشلت مرة تلو أخرى في تشخيص مشكلات واقعنا وظواهره، كما امتلك الشجاعة الفكرية على تكثيف خبراته المعرفية والفكرية التي تراكمت عبر سنوات من أجل صياغة أطر تفسيرية ومنهجيات جديدة وتطبيقها لفهم عديد من الظواهر الاجتماعية العربية وغير العربية، كان أشهرها - وربما ليس أهمها - منهجيته الجديدة في دراسة الظاهرة الصهيونية التي كشف خلالها كيف أن اليهود في أنحاء العالم كانوا جماعاتٍ وظيفية كان منها خصوصياتها التاريخية والثقافية والاجتماعية داخل المجتمعات التي عاشوا فيها، وأنهم لم يكونوا أبداً جماعة واحدة متحدة الهوية كما يصر قادة الحركة الصهيونية على تصويرهم.

عبر سنوات طويلة من التأمل والحوار مع رفاق تلك الحركة الفكرية الواسعة، تراكمت لدى المسيري خبرات مكنته - بشكل استثنائي - من صياغة شبكة من المفاهيم التي شكلت معاً أطراً تفسيرية جديدة قادرة على فهم الحضارة الغربية الحديثة ذاتها - باعتبارها أبرز منجز حضاري معاصر - ولكن بشكل نقدي، وهو ما كان يمثل المرحلة التمهيدية الضرورية لأي إبداع فكري عربي ذاتي مستقل.

تمكن المسيري عبر هذا الإطار التفسيري الجديد من توجيه أهم نقد معرفي - وليس سياسياً فقط - لما كان يسمى "بالعلم الغربي" فرده إلى حدوده الطبيعية باعتباره وليدَ خصوصية ومحدودية خبرة أوربة، التي هي

مجرد شبه جزيرة صغيرة في الطرف الشمالي الغربي لقارة آسية العريقة بتعبير المفكر الفرنسي روجيه جارودي الأستاذ الأوربي في ذات المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها المسيري، ومن ثمَّ لم يعد العلم الغربي هو " العلم " بألف ولام التعريف، فالحضارات الأخرى في العالم - خاصة الكبيرة منها كالحضارة العربية والإسلامية والحضارتين الصينية والهندية... إلخ لها أيضاً خبراتها الخاصة ومنظوماتها الفكرية والعقائدية القادرة على توليد رؤاها الخاصة في العلوم الطبيعية والإنسانية كافة.

وترتب على ذلك أن المفاهيم الأساسية التي قامت عليها الخبرة الغربية الحديثة والمعاصرة كالحداثة والتطور والتقدم.. لم يعد ينظر إليها باعتبارها نماذج مثالية مطلقة ينبغي على الحضارات والمجتمعات كافة احتذاءها وتكرارها ، بل إن مثل هذه المفاهيم تتضمن في جزء منها ما يعرف بالمشترك الإنساني العالمي ، كما تتضمن أيضاً جزءاً يعبر عن الخصوصية الحضارية لكل مجتمع، ومن ثمَّ فهناك حداثات عديدة ممكنة - لاحداثة واحدة - أو لنقل أنماطاً عديدة للحداثة وطرقاً متباينة للتطور والتقدم.

ويلفت النظر في هذا الإنجاز للمسيري ومدرسته الفكرية - وبحكم كونه إنجازاً معرفياً - أنه لم يكن مجرد موقف سياسي إيديولوجي معاد ومناهض للغرب برمته ولفكره على وجه التعميم، بل كان نقداً - أكثر منه نقضاً - للأسس المعرفية التي قامت عليها منظومة القيم الأساسية لحضارة الغرب، كما كان نقداً مسؤولاً مستوعباً لكل ما هو إيجابي إنساني في مسار هذه التجربة الحضارية القريبة منا والمؤثرة فينا، مع توجه صارم لهضم هذه القيم الإيجابية وإعادة صياغتها وتمثلها بحيث يصبح دمجها في منظومة قيمنا ورؤيتنا الكلية للوجود أمراً طبيعياً لا مقحماً ولا هادماً للأسس التي تميز حضارتنا العربية الإسلامية.

أما القيمة الثانية لعبد الوهاب المسيري في نظرنا ، فتتمثل في تمسكه بدوره مثقفاً عضوياً ملتزماً بإحداث تأثير ملموس في وعي مجتمعه ، وهو ما تجسد في وجود أكثر من مستوى للكتابة عنده ، المستوى الأول هو مستوى الكتابة الفلسفية والنظرية المجردة عالية المستوى، وهو المستوى الموجه للنخبة من المفكرين والمثقفين المتخصصين، أما المستوى الثاني فتمثله مجموعة كبيرة من المقالات والأحاديث الصحفية والتلفزيونية ذات المستوى الوسيط والتي يستهدف فيها المسيري الجمهور العادي من القراء والمستمعين والمشاهدين، ولعل ما يلفت النظر حقاً هو أن التبسيط عند المسيري إنما يتعلق باللغة وطريقة التناول دون أدنى تنازل عن طرح المفاهيم الفلسفية والتحليلية كافة التي تمثل جوهر الإطار التفسيري الذي يحرص على أن يصل إلى أكبر قطاع من القراء.. فكيف تمكن من حل هذه المعضلة أو المفارقة بين ضرورة تبسيط اللغة مع صعوبة وتعقيد المفاهيم؟!!

ينتهج المسيري هنا مدخلاً مشابهاً لما نجده عن فيلسوف الحياة اليومية الإنجليزي جورج إدوارد مور، إذ يبدأ دائماً من التقاط حدث أو واقعة أو مشهد ثم يبدأ مع القارئ رحلة تحليله وفهمه، تفسيره من خلال ربطه بالإطار التفسيري وشبكة المفاهيم الأساسية الخاصة به. ولكن أحداث ووقائع ومشاهد الحياة اليومية لا تتساوى في قيمتها وقدرتها التفسيرية عند المسيري ، ولكن بعضاً منها يملك هذه الخاصة الفريدة، وهي ما يطلق عليه " المواقف النماذجية " أي التي يكشف تحليلها عن منطق النموذج الحاكم للحياة في إطار سياق اجتماعي وحضاري معين سواء كانت الحضارة الغربية أو العربية الإسلامية أو غيرها، وتعبر المقدرة على التقاط هذه المواقف التي تبدو للآخرين مواقف عادية لا دلالة ولا مغزى لها - عن أحد جوانب تفرد المسيري وعبقريته.

ولنوضح للقارئ هذه المنهجية المبتكرة في التحليل، نشير إلى عديد من مقالات المسيري، كالتي يحاول أن يفسر للقارئ فيها بعض الأسس المعرفية التي يقوم عليها نموذج الحضارة الغربية الاستهلاكية على سبيل المثال، فلا يدخل إلى مثل هذا الموضوع الفلسفي الجاف والمعقد مباشرة بل يبدأ مثلاً بذلك الموقف الذي صادفه خلال زيارته لموسكو قبيل البيروسترويكا ، حين لاحظ تجمهر الناس حول فتاة عادية لمجرد أنها كانت ترتدي - في واقعة استثنائية آنذاك - بنطلون جينز أزرق أمريكياً أصلياً، وهي اللحظة التي كشفت له عن مدى انبهار شعوب أوربة الشرقية بفكرة " الحلم الرأسمالي الاستهلاكي. ثم ينطلق المسيري في التحليل الثقافي " للجينز " باعتباره منتجاً عملياً " محايداً ثقافياً " إذ يفتقر إلى أي رموز ثقافية تخص شعباً بعينه على خلاف الساري الهندي أو الكومينو الياباني أو الجلباب العربي أو المغربي مثلاً؛ ولذلك فإن الجينز يصلح لكل الشعوب.. ولكن بشرط أن ينسوا تاريخهم وخصوصيتهم الثقافية تدريجياً، ولا ينسى المسيري أن يلفت نظر القارئ كيف أن الشركات المنتجة لهذا البنطلون المتطابق الشكل دون أدنى فارق يذكر بين واحد آخر، تحرص أشد الحرص على إبراز اختلاف ظاهري واحد هو ماركة البنطلون التي تحدد وحدها السعر - رغم تساوي النوعية في معظم الأحيان - كما تحدد في الوقت ذاته المكانة الاجتماعية للشخص، فالشركات عن طريق هذا الرمز أو الماركة تبيع للناس المكانة في التراتب الاجتماعي قبل أن تبيع السلعة ذاتها.

وفي مقال آخر يتساءل المسيري كيف أصبح الإنسان يتقبل فكرة أن يتحول (وهو الإنسان ذو الكرامة) إلى مجرد سطح أو لافتة متحركة تعرض إعلاناً كبيراً ظاهراً على " التي شيرت " الذي يلبسه.. لم يكن من المتصور أن يقبل الناس بذلك إلا بعد مرحلة تاريخية طويلة فقدوا خلالها

عادة النظر لذواتهم كجوهر إنساني له تاريخ وثقافة ومنظومة قيم وهوية وكرامة.. وهو ما يفسر لنا لماذا يعتبر كبار السن ارتداءهم لمثل هذه الملابس ضرباً من ضروب المستحيل .

ولكن المسيري لم يكتف بذلك المستوى الوسيط للكتابة، بل انطلق خلال السنوات الأخيرة نحو مستوى ثالث أكثر صعوبة وهو ما يتمثل في إبداع عدد من المجموعات القصصية للأطفال والنشء. وفي دراسة سابقة لكاتب هذه السطور لاحظ وجود حالة من التوازي بين عديد من المفاهيم المعرفية والفلسفية الواردة في الجزء الأول النظري من موسوعة المسيري وبين الأفكار الواردة في قصصه للأطفال، حيث تمت صياغة هذه المفاهيم في صورة حكايات يصل مغزاها للطفل ويدعم لديه مفهوماً أو قيمة معينة مثل مفهوم الإنسان الحقيقي الذي لا يقبل أن يصبح مجرد متلق سلبي لما حوله من وقائع ومعلومات، بل يعمل على ربطها معاً وصولاً إلى " البحث عن المعنى " الكلي للوجود وهو ما لا يتحقق للإنسان إلا بربط ما هو دنيوي جزئي بما هو سماوي إلهي ، وعلى عكس النصيحة التقليدية التي كان جيلنا يقرؤها : "نم مبكراً واستيقظ مبكراً " فإن من يعانون الشغف الليلي في حكايات المسيري هم أطفال إيجابيون مبدعون أخلاقيون، إنهم بشر بالمعنى الحقيقي للكلمة يجسدون الجوهر الحقيقي للمشروع الفكري لعبد الوهاب المسيري الذي قد يجسده هذا الجيل الجديد يوماً ما.


مجلة شذرات ثقافية
العدد الثامن
أ. د. عماد عبد الرازق
الدين والعلم
صدام أم تكامل

الدين و العلم صدام أم تكامل

مما لا شك فيه أن إشكالية العلاقة بين العلم و الدين من الإشكاليات الفكرية المعقدة و الصعبة و التي دار حولها نقاش و جدال شاق و معقد ، فالبعض ذهب إلي أن أساس هذه الإشكالية أو الصراع بين الدين و العلم هو الغرب، إذ لم يحتدم هذا الصراع في أي منطقة في العالم كما احتدم في أوروبا في عصر النهضة تحديدا . و احدي السمات التي اكتسبها هذا الصراع هي أن العلم الذي تم تصنيمه بتحويله إلي دين جديد قدسه مريدوه بوصفه القوة التي تقف وراء تفوق أوروبا ، ونتيجة ذلك كانوا يومنون بان العلم سوف يحل في مستقبل غير بعيد محل الأديان ، و سعي آخرون إلي توضيح العلاقة بين الدين و العلم برسم حدود لتلك العلاقة من خلال بيان أن كل من العلم و الدين له نسق خاص و ليس متعارضين ، فالبراهين الدينية قائمة علي سلطة النص ، بينما دعي البعض الأخر إلي ضرورة توافق الدين و العلم و أنهما متكاملان و متعانقان و ليس بينهما صراع أو صدام، بل يتفقان و لا يختلفان، فالدين علم و العلم دين، و لهذا لم يقم صراع بينهما ، و طالما تعاون العلم و الدين في نشأت الحضارات و حل ما أشكل من معضلات الحياة. و يجب أن نشير إلي أن جدلية العلاقة بين الدين و العلم ليست و ليدة العصر الحاضر ، إنما هي قديمة قدم الدين و العلم. والسوال الذي يطرح نفسه بقوة هل العلاقة بين الدين و العلم علاقة تعضد و تكامل أم علاقة صراع و تناقض؟ و الإجابة علي ذلك السؤال قد يبدو للوهلة الأولي أن العلاقة بين الدين و العلم هي علاقة تناقض و صراع و تعارض ، و خير مثال علي ذلك أن نظريات (كوبرنيقوس) في علم الفلك و (دارون) في التطور و (هارفي) في الدورة الدموية قد تم معارضتها من جانب عدد كبير من رجال اللاهوت في أوروبا، ثم بعد فترة من الزمن وافق رجال الدين علي هذه النظريات العلمية رغم أن البداية كانت تصادمية بين الدين و العلم، و الصراع كان علي أشده في البدايات الأولي و خصوصًا في أوروبا بين رجال العلم و رجال الدين المسيحي.و عبر التاريخ لم يكن هناك بروز لهذا الصراع ، لأنه في أحقاب كثيرة كانت الهيمنة للدين و توجهاته ، و كانت خطوات التطور العلمي

بطيئة و بعضها كان يدور في فلك الضرورات، وبعضها كان ممزوجا بالوثنيات و الأسطوريات، و حتى في اليهودية لم يظهر هذا الصراع ، وإنما برز في عصر سيطرت الكنيسة بعد ظهور المسيحية بأكثر من تسعة قرون . و قد بدأت قضية الصراع تطفو علي السطح تحديدا مع ظهور عصر التنوير أو عصر النهضة الأوروبية ، و بداية الوقوف بحزم من رجال العلم ضد سيطرة الكنيسة المطلقة. و من الضلالات التي وقع فيها الغرب نبذ الدين و الخروج علي أوامره و النفور من أحكامه . و مما لاشك فيه أن موقف رجال الكنيسة و أفعالهم كانت سببًا رئيسًا في هذا التصادم مع الدين ، و لو الكنيسة لم تعاد النظريات و الاكتشافات العلمية التي لا تتعارض مع الدين و لا تتناقض ، و لو أنها وافقت علي ذلك لما آل الأمر إلي ما وصل إليه من نبذ لها و كفر بها. و الحقيقة الواضحة و ضوح الشمس و التي لا ينكرها عاقل هي أن العلاقة بين الدين و العلم هي علاقة وطيدة و علاقة تكامل و تعاون و تعاضد ، رغم اختلاف ميدان كل منهما ، و اختلاف طبيعتهما ، و مع ذلك كلاهما يكمل الأخر و يتعاون من أجل الوصول للحقيقة. بل أن الأديان تدعو للعلم و تشجع عليه و تحث الناس علي استخدام عقولهم و استنباط الحقيقة من الكون.

الدكتور /عماد عبد الرازق أستاذ ورئيس قسم الفلسفة–كلية الآداب جامعة بني سويف


مجلة شذرات ثقافية
العدد الثامن
د. على حسن الروبى
فلسفة التحريم فى
المذاهب الفكرية العلمانية
وحكمته فى الإسلام

فلسفة (التحريم) في المذاهب الفكرية العلمانية وحكمته في الإسلام

ليس يخفى أن المنظومة الأخلاقية للمذاهب الفكرية العلمانية على ما بينها من تباينات منهجية= تكاد تتفق على أن التحريم والمنع أو ما من شأنه التقييد لحرية الإنسان ينبغي أن يكون منحصراً فيما إضرارٌ بالآخرين واعتداءٌ عليهم. ولعلك قد مرت أمام ناظريك في غير مناسبة هذه العبارة التي يرددها أبناء التيار العلماني: " القتل حرام، السرقة حرام، الظلم حرام، لكن تصرفات الناس في أجسادهم هي محض حقٍ لهم"!

ومراد أصحاب هذه العبارة بها في صياغاتها المختلفة أنّ ما يتعلق به التحريم والمنع والعقوبة القانونية= ينبغي أن يكون مقتصراً على ما فيه إضرارٌ للآخرين او اعتداءٌ عليهم من قتل وسرقة واغتصاب ونحو ذلك، وأما ما سوى ذلك مما يتعلق بالتصرفات التي يحرمها الدين والأخلاق كالزنا وشرب الخمر والشذوذ والتعري ونحو ذلك= فلا ينبغي أن يكون عليه معاقبةٌ أو توجيه منعٍ؛ لكون تلك الأمور المذكورة ليس فيها اعتداءٌ على الآخرين بجانب أنها متعلقة بالحقوق الشخصية للإنسان وحريته الذاتية؛ فلا بد من أن تكون مباحة غير محرمة.

وسبب هذا التفريق الواقع عند أصحاب ذلك الفكر في تحريمهم للقتل والسرقة والاغتصاب وإباحتهم للزنا والشذوذ وشرب الخمر وما شابه = هو ما تستبطنه تلك المذاهب التي يعتنقونها من تقديسٍ للإنسان وتهميشٍ لرب الإنسان وخالقه.

فإنّ تلك المذاهب – على اختلافاتها الجزئية– تنظر إلى الإنسان نظرة تقديسٍ وتأليهٍ؛ فتُضفي على تصرفاته وميوله واختياراته صفة القداسة والمشروعية دون اعتبارٍ أو نظرٍ للموقف الديني والأخلاقي من تلك التصرفات. ولا ترتفع تلك القداسة والمشروعية عن ميول الإنسان وأهوائه مهما كانت= إلا إذا أدتْ تلك التصرفات والميول إلى إلحاق الضرر والأذى بإنسانٍ آخر، فهاهنا ترتفع عنها تلك الهالة وذلكم التقديس، ويتوجه إليها المنع والعقوبة لما ألحقته بالآخرين من إيذاءٍ وضررٍ؛ فلا جرم – والحال هذه– أن يكون القتل والسرقة والشتم والاغتصاب ونحو ذلك= أفعالاً محرَّمةً مجرَّمةً في تلك المذاهب، تستوجب العقوبة لفاعلها بعد أن ارتقعت عنها صفة الحق الشخصي والحرية الذاتية.

بينما تبقى القداسة والمشروعية في الأفعال الرضائية مثل ممارسة الجنس خارج إطار الزواج والتعري والشذوذ وما شابه ذلك من تصرفاتٍ من جهة كونها حقوقاً إنسانيةً أصيلةً لا ينبغي أن يعاقب فاعلها، بل ينبغي النضال من أجل حماية ممارستها بقوة القانون!

وأما حق الله وشرعه ودينه، فإن تلك المذاهب إنْ لم تكن تتخذ من الإلحاد مرجعية لها، فهي في أحسن أحوالها تجعل مكانة الرب لا تتجاوز حدود خلقه للكون، وأمّا أن يكون للخالق أوامرُ ونواهٍ وقوانين تُفرض على المجتمع= فلا.

وجهة تقديس الدين في تلك المذاهب من حثيثة كونه اختياراً سلوكياً للإنسان فقط؛ فلا ينبغي مصادرته أو منع الناس من ممارسته ما دام في صورة طقوسٍ وعباداتٍ وعاداتٍ قاصرةٍ على صاحبها الذي يمارسها، لكن لا يجوز أن يكون مصدراً تشريعياً تُطبق قوانينه على عموم الأفراد أو أن تكون قوانينه هي المهيمنة على أنظمة الحياة في المجتمع.

لذلك كله لم يكن للدين وشرائعه قداسةٌ في تلك المذاهب؛ لأنها لا تُقدّس الرب على الحقيقة ولا تستحضر إلوهيته وعظمته في منظوماتها الفكرية، بل تقدس الإنسان وتؤلِّهه وتجعله المركز والمرجع الذي ينبغي أن تكون حريته ورغباته موضع العناية والتقديس؛ فلا استغراب أن تجد المنظومة القيمية في تلك المذاهب تبيح الزنا بالتراضي والشذوذ بأشكاله المختلفة وتحرم الاغتصاب والتحرش وتعاقب عليهما، لأن منظومة القيم لتلك المذاهب التي تُعظِّم الإنسان وتقدسه لا ترى في الزنا وغيره من العلاقات الرضائية ما يجعله محرماً وممنوعاً، بل تَعُد ذلك من الحقوق الطبيعية للجسد فينبغي أن يكون مباحاً؛ حيث لا اعتداء فيه على حقوق الآخرين ولا سلب لها. أما الاغتصاب والتحرش ونحوهما فقد رأتْ المنظومة الأخلاقية القيمية لتلك المذاهب أن فيه اعتداءً على حق الآخر وسلباً له بالقهر كما في السرقة والنهب والقتل، فقالتْ بمنع تلك الممارسات وتحريمها وتجريمها.

وأما في الإسلام فالأمر مختلفٌ كلياً، فإن الإسلام وإنْ كان يقرر أن الإنسان هو سيد المخلوقات وأن الله تعالى سخر ما في الكون جميعاً من أجله؛ إلا أنه يقرر كذلك أن الإنسان هو صنعة الله تعالى وأن الله قد اصطفاه بحرية الإرادة وأمره بعبادته والخضوع لأوامره ونواهيه، واستخلفه في الأرض لإقامة شرعه. فالسيادة الحقيقية هي لله تعالى وحده، وله وحده الألوهية التي تستوجب التقديس المطلق. والإنسان، وإنْ علت منزلته على غيره من المخلوقات، إلا أنه خلقٌ من مخلوقات من الله المملوكة له سبحانه ملكاً تاماً، حتى إنه لا يجوز للإنسان أن يتصرف في جسده الخاص به إلا على الوجه الذي يبيحه الشرع؛ فلا يملك حق الإضرار بجسده كما لا يملك الحرية في إنهاء حياته!

وإذا كان كذلك فالسيادة المطلقة في التشريعات والقوانين وجميع مناحي= لا بد أن تكون على وَفق منهج الله تعالى دون خروج عن أوامره ونواهيه.

ويكون ما أنزله الله من أحكامٍ تتعلق بتحريم الأشياء وإباحتها= مقدماً ومعظّماً على ما يُنتجه عقل الإنسان وضميره من منظومة أخلاقية أو قيمية؛ فإنّ المسلم يؤمن بأن لخالقه صفات الكمال من العلم والحكمة والرحمة والعدل وغيرها؛ ويعلم ما عليه العقل البشري من ضعفٍ وعجزٍ وقصورٍ.

فمن ثم فلا بد أن يكون حق الله تعالى معتبراً منظوراً إليه في التحليل والتحريم والمنع والإباحة، بل لا بد أن يكون مقدماً على الحق الإنساني الفردي؛ وإن كان المسلم يعتقد جزماً بأن خالقه سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة الإنسان ولا تضره معصيته؛ وقد أنبأه ربه بأن الشريعة التي أنزلها كلها موضوعة من أجل مصلحة الإنسان بالأصالة، لكن تلك المصلحة ليست منحصرة في حماية وصيانة الحق الإنساني المتعلق بالدنيا فقط، بل تشمل أيضا حماية الحق الإنساني فيما يتعلق بالحياة الآخرة التي يؤمن بها المسلم إيماناً جازماً؛ تلك الحياة التي علق الله تعالى سعادة الإنسان فيها ونجاته بحفظه لحقوق ربه وعدم إقدامه على انتهاكها.

وإذا كان في حفظ المسلم لحقوق الله تعالى= فوزُه ونجاته في الحياة الآخرة، وفي تضييعه لها هلاكه وخسارته في تلك الحياة الأخرى؛ فيصبح حفظ حق الله– تعالى– عائُده ومآله ومنفعته= هو حفظ حق الإنسان لكي ينجو ويسعد في الآخرة؛ فكانت مراعاة حق الله واعتباره بمثابة المراعاة لحق الإنسان واعتباره؛ لأن عائد ذلك يحمل المصلحة المحضة للإنسان على نحو ما ذكرنا.

هذه وجهة نظر الإسلام حين لا يكتفي في التحريم والمنع بمراعاة الحق الفردي الإنساني، فلا يقتصر على تحريم ما فيه اعتداءٌ على حق الآخرين، بل يعتبر الإسلامُ ويراعي الحقَّ الإلهيَّ ويجعله مقدماً على الحق الإنساني؛ وذلك لما في حفظ الحق الإلهي من المصلحة العظيمة العائدة على الإنسانِ نفسِه بما لا يقل عن المصلحة المتمثلة في حفظ الحق الإنساني.


مجموعة شذرات ثقافية
العدد الثامن
الباحث عصام جمعة
القوامة ودورها فى
الحد من الطلاق

القوامة ودورها في الحد من الطلاق

الحياة الزوجية بمثابة شركة بين طرفين فلا يمكن أن تترك بدون مدير ، ولا يمكن أن يكون لها مديران لأن السفينة التي لها رئيسان مصيرها الغرق، وفي نفس الوقت لا يمكن أن تكون المرأة هي المديرة،

لما يغلب عليها من العاطفة، ولأنها لم تغرم في تأسيس الأسرة، بخلاف الرجل الذي ينظر في هذا الأمر بعين العقل ويفكر في العواقب والمآلات

فالقوامة تعني مسئولية إدارة الأسرة ووصولها إلي بر الامان وتقليل الخلافات الزوجية وبالتالي تقليل حالات الطلاق هذه الظاهرة التي انتشرت بصورة مؤسفة بلادنا العربية والإسلامية.

والقوامة ضرورة اجتماعية، فكما أن الحياة لا تستقيم مع نظام تعدد الآلهة ، كذلك الأسرة لا يصلحها إزدواج القوامة.

تعريف القوامة

القوامة في اللغة:

من قام علي الشئ يقوم قياما : أي حافظ عليه وراعي مصالحه ، وقيم المرأة هو زوجها أو وليها لأنه يقوم بأمرها – والقوّام الذي يقوم علي شأن شيء يليه ويصلحه. (1)

القوامة في اصطلاح الفقهاء:

هي ولاية يفوض بها الزوج للقيام علي مصالح زوجته بالتدبير والصيانة، والواضح من معني القوامة أنها تكليف علي الزوج ، كما أنها تشريف للزوجه، فقد اوجب الله تعالى علي الزوج بمقتضى القوامة رعاية زوجته التي ارتبط بها بعقد شرعي، وبذلك تكون المرأة مكرمة بوضعها تحت قيم يقوم بأمورها وينظر في مصالحها ويذب عنها ويبذل كل ما من شأنه أن يسعدها ويحقق طمأنينتها .

مشروعية القوامة:

الأصل في مشرعية القوامة موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

أولا – من القرآن الكريم

قال تعالى:{الرجال قوامون علي النساء، بما فضل الله بعضهم علي بعض، وبما انفقوا من أموالهم } (النساء: 34) وقد نص جمهور المفسرين علي أن الآية هي الأصل في قوامه الرجل علي زوجته ، قال ابن عاشور { الرجال قوامون علي النساء } والقوام الذي يقوم علي شأن شيءٍ يليه ويُصلحُه، يقال قوّام وقيَام وقيُوم وقيمٌ [2]

فالرجل بموجب هذه الآية قيم علي المرأة، يلي حاجتها ويصلح شأنها بما تحتاج اليه ، وقد عبّر المفسرون عن هذه القوامة بعبارات مختلفه تدل جميعها علي مسئولية الزوج في إدارة وتحقيق مصالح المرأة الدينية والدنيوية : قال الطبري :[الرجال أهل قيام علي نسائهن ، في تأديبهن ، والأخذ علي أيدهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم] [3]

وقال ابن كثير[الرجل قيم علي المراة ، أي: هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدّبها اذا اعوجّت] . [4] ومعني كلامه أن الرجل من المرأة بمنزلة الرّئيس من الرّعية، عليه مسئولية سياسة مصالح الزوجه، كما علي الحاكم مسئولية سياسة مصالح الأمَة.

ثانيا– القوامة في السنة : فقد ورد عن رسول الله العديد من الأحاديث التي تأمر الزوجة بطاعة زوجها، مادام ذلك ضمن حدود الشرع ، وحدود قدرتها واستطاعتها ومنها:

1– عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم [إذا دعا الرجل إمرأته إلي فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتي تصبح][5]

2– وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم [إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصّنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت] [6]

3- وعن عبدالله بن ابي أوفى قال : قال رسول الله [لوكنت آمرا أحد أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو سألها نفسها وهي علي قتب لم تمنعه] أى ولو كانت على ظهر بعير .(7)

كل هذه النصوص وغيرها تدل دلالة واضحة علي أن للزوج واجب الطاعة والقوامة

اسباب القوامة

السبب الأول : الرجولة

قال تعالى :{الرجال قوامون علي النساء، بما فضل الله بعضهم علي بعض... } (النساء: 34) يقول ابن عاشور مبيّنا معنى القيام علي الزوجة وأسبابه: [وقيام الرجال علي النساء، هو قيام الحفظ والدفاع، وقيام الأكتساب والأنتاج المالي، فالتفضيل هو المزايا الجبليّة التي تقتضي حاجه المرأة إلي الرجل، في الذب عنها وحراستها لبقاء ذاتها، وهذا التفضيل ظهرت أُثاره علي مر العصور والأجيال فصار حقا مكتسبا للرجال، وهذه حجة برهانية علي كون الرجال قوامين علي النساء] (8)

فالرجولة هي العنصر الرئيسي في القوامة، حيث أن الرجل يمتلك مقومات جسدية خَلقيه تختلف عن المرأة ، فالرجل كامل الخلقه ، سليم البنية، معتدل العاطفة أكثر قدرة علي تغليب العقل علي العاطفة عند الحكم علي أمر من الأمور، كما أنه أقدر علي تحمل أعباء الحياة، وذلك لأمور جبليه حيث خلق الله الرجل بطبيعة أكثر استقرارا وأكثر اتزانا من المرأة وذلك تبعا للأنظمة الهرمونية في كل منهما ، فالرجل مقارنة بالمرأة لا يخضع لأي نوع من التغيرات الهرمونية التي تتعرض لها المرأة أثناء فترات طمثها، مما يسبب لها الكثير من الأضطرابات النفسية والعاطفية التي تؤثر في تقديرها للأمور .

ولذلك هو مفضل في القوة والعزم علي المرأة ، وكذلك كانت النبوه والرسالة والإمامة الكبرى والقضاء ، كلها خاصة بالرجال دون النساء، وكذلك إقامة الشعائر، من آذان وإقامة وجهاد وجمعة ونحو ذلك.

السبب الثاني: النفقة

قال تعالى: { وبما أنفقوا من أموالهم...} يقول ابن عاشور [جاءت بصيغة الماضى للإشارة إلي أن ذلك أمر قد تقرر في المجتمعات الإنسانية منذ القدم ، فالرجال هم العائلون لنساء العائلة من أزواج وبنات، واضيفت الأموال إلي ضمير الرجال لأن الأكتساب من شأن الرجال.[9].

وقال رشيد رضا :[أي من شأنهم المعروف المعهود القيام علي النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية][10]

ولا تقتصر القوامة علي الإعانة المادية فقط ، وإنما تشمل كثيرا من الأمور مثل الصبر والمعرفة وحسن السلوك والشجاعة وكل أنواع الرعاية والحماية ، ويقارن الله عزوجل بين الرجال والنساء في اسلوب رائع بالغ الدقة { ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم علي بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيئ عليما} (النساء: 32)

وتعني الآية أن الرجال يفضلون النساء بعناصر القوامة، بينما تفضل النساء الرجال بالقدرة علي التفاني وتوفير الراحة وإضفاء السعادة والهناء.القوامة ليست استبدادا

يقول الإمام محمد عبده : المراد بالقيام هنا هو الرياسة التي يتصرف فيها المرؤوس بإرادته واختيارة وليس معناها أن يكون المرؤوس مقهورا مسلوب الإرادة ، لا يعمل عملا إلا ما يوجّهه إليه رئيسه، فإن كون الشخص قيما علي الآخر ، إنما هو عبارة عن ارشادة والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشدة اليه] .[11] ومقتضي الأعتراف من المرأة بقوامة الرجل يوجب عليها أن تطيعه في المعروف، ولذلك قال سبحانه وتعالى عقب تقرير واجب القوامة: {فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله... } (النساء:34) بمعني أن المرأة الصالحة وهي تسمع هذا التقرير لا ترى فيه أي هدر

لكرامتها ولا انتقاصا لقيمتها بل تعتقد أنه صميم الحكمة وعين الرحمة لأنه المنسجم مع حقائق الفطرة ولذلك فهي قانته غير معارضة ولا ناشز.(12)

وحتي تمضي السفينة بأمان ، ولا يتنازعان في كل صغيرة وكبيرة، اذا فعلت المرأة ذلك قياما بالواجب وامتثالا لأمر الله ورسوله عدّ ذلك في صالحات أعمالها التي تدخلها الجنة.

وبالنسبة للرجل فالقوامة ليست استبدادا بأمر الأسرة وأن يتحول إلي دكتاتور يأمر وينهي دون أن يناقش أو يحاور "فليس هذا المنهج القرآني والنبوي" بل ينبغي للرجل أن يشاور أمرأته فيما يهمه من أمر الأسرة وغيره ، ويشرك أمرأته معه ، فتحمل همّه وتنصح له بما ترى من رأى فقد يكون هو الأرشد ، وقد قال القرآن عن الزوجين في حالة الرضا {فإن أرادا فصالا عن تراضى منهما وتشاور فلا جناح عليهما }(البقرة:233)

وفي غزوة الحديبية استشار الرسول الكريم زوجته أم سلمة عندما تكاسل الصحابة عن تنفيذ أمر النبي ، فأشارت اليه برأى نفذه النبي فكان فيه الخير والرشد ، وهذا هو المعني الحقيقي للقوامة والتي يجب أن يفهم من القرآن والسنة، فالقوامة مسئولية اصلاحية مع استقلال المرأة في ارادتها واحترام حريتها حتي لا يتصور معني العبودية والقهر، فالقوامة ليست تسلطا علي المرأة ولا قهرا لشخصيتها كما يحاول أعداء الإسلام تصويرها

ضوابط القوامة :

جعل الله تعالي للقوامة ضوابط تحكمها حتي لا يتخذها بعض الرجال دافعا للتحكم والأستبداد بالمرأة واذلالها وهي:

١-أداء الرجل لواجباته وحقوقة الزوجية

توفير المسكن والملبس والمأكل لها.

٣- معاشرة الزوجة بالمعروف والإحسان "

والمعاشرة لفظ عام يشمل نواحى الحياة جمعيها" فالمطلوب من الزوج أن يحسن الحديث مع زوجته ويتأدب معها ولا يحملها ما لا تطيق وكذلك أن يتحمل ما قد يبدر من زوجته احيانا ، بل عليه أن يتجمل لها ويدخل السرور عليها وإلي قلبها وما إلي ذلك من صور حسن المعاشرة وبما أن القوامة وظيفة شرعيه جعلها الله للرجل فوجب الأ يظلم زوجتة بل يعدل وينصف ويراعي حقوق زوجته وواجباتها .

في النهاية : يجب أن نعلم أن القوامة إنما هي تعاون وتفاهم وتكامل من قبل الزوجين وهي امتزاج لإرادتهما معا بصورة تحقق النفع للإسرة وتعود عليهما بالخير، وبهذا المفهوم تساهم القوامة في الحد من الطلاق، لأنها ببساطة شديدة هي معادلة بسيطة، فالرجل الذي يقوم بحق القوامة ويتحمل المسئولية مع إمرأة سوية مطيعة لزوجها في المعروف وليست عنيده أو ناشز، تكون المحصلة بيت سعيد وحياة هانئة ، فإذا طبقنا القوامة كما ينبغي ستنصلح كثير من أحوال البيوت، وتقل نسب الطلاق في المجتمعات العربية والإسلامية .

عصام جمعة

باحث شرعي

الهوامش :

(١) ابن منظور، ج5، 785.

(٢)ابن عاشور

، التحريروالتنوير، ج5،ص38.

(٣) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج6، ص687.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج4، ص20.

(٥) صحيح البخاري.

(٦) صحيح ابن حبان.

(٧) رواه ابن ماجه.

(٨) ابن عاشور ، مرجع سابق ،39.

(٩) ابن عاشور ، مرجع سابق ،39.

(١٠) رشيد رضا، تفسير المنار،ج5،ص67.

(١١) رشيد رضا ، تفسير المنار، ج5، ص 68.

(١٢) رابطة رعاية الزوجين ، رشيد بوعافيه ، ص168.


مجلة شذرات ثقافية
العدد الثامن
الشيخ أحمد تركي
ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِين

العزة خلق محمود، وهي من أعظم أخلاق الإسلام، فالمسلم لا يهان ولا يستضعف ولا يستخف به، وأعظم ما يعتز به المسلم دينه وكتاب ربه عز وجل.

وقد حرم الإسلام على المسلم أن يهون، أو يستذل، أو يستضعف، ورمى في قلبه القلق والتبرم بكل وضع يخدش كرامته وجرح مكانته، فالعزة والإباء والكرامة من أبرز الخلال التي نادى الإسلام بها، وغرسها في أنحاء المجتمع، وتعهد نماءها بما شرع من عقائد وسنّ من تعاليم .

معنى العزة

العِزُّ خلاف الذُّلِّ، وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–: «هل تَدْرِينَ لِمَ كان قومُك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لا. قال: تَعَزُّزًا أَن لا يدخلها إلا من أَرادوا»؛ أَي تَكَبُّرًا وتشدُّدًا على الناس.

والعِزُّ في الأَصل القوة والشدة والغلبة، والعِزُّ والعِزَّة: الرفعة والامتناع. والعِزَّة لله، وفي التنزيل العزيز: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: 8]؛ أَي له العِزَّة والغلبة سبحانه.

والعِزَّةُ حالةٌ مانعة للإنسان من أن يغلب .

قال تعالى: {أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء: 139]. وَالعَزِيزُ: الذي يَقهر ولا يُقهر. قال تعالى: {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت: 26].

العِزَّة في القرآن الكريم

في العديد من آيات الكتاب الكريم، ينبِّه المولى –تبارك وتعالى– على هذه القضيَّة، والتي ينبغي على المؤمن أن يجعلها نُصْب عينيه، فلا يغفل عنها، ولا يتساهل بها؛ لأنَّ الإسلام إنَّما جاء بالعِزَّة لأتباعه والرِّفعة لأوليائه.

وقبل أن نشْرَع في ذكر الآيات التي تحثُّ على صفة العزة وتدعو إليها، نذكر قول ابن الجوزي وهو يتحدَّث عن العِزَّة في القرآن، فيقول:

(ذكر بعض المفسِّرين أنَّ العِزَّة في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها :

العَظَمَة. ومنه قوله تعالى في سورة الشُّعراء: وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ [الشُّعراء:44].

وفي سورة ص: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ [ص: 82].

والثَّاني:

المنْعَة. ومنه قوله تعالى في سورة النِّساء: أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا [النِّساء: 139].

والثَّالث:

الحَمِيَّة. ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ [البقرة: 206].

وفي سورة ص: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ [ص: 2]) .

– قال الله تبارك وتعالى: مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا [فاطر: 10].

(أي: من كان يَوَدُّ أن يكون عزيزًا في الدُّنْيا والآخرة، فليلزم طاعة الله تعالى، فإنَّ بها تُنَال العِزَّة؛ إذْ لله العِزَّة فيهما جميعًا) .

ويقول الشِّنقيطي فى أضواء البيان :

(بيَّن –جلَّ وعلا– في هذه الآية الكريمة: أنَّ من كان يريد العِزَّة، فإنَّها جميعها لله وحده، فليطلبها منه، وليتسبَّب لنيلها بطاعته –جلَّ وعلا– فإنَّ مَنْ أطاعه، أعطاه العِزَّة في الدُّنْيا والآخرة) .

وهذه الحقيقة كفيلة –حين تستقرُّ في القلوب– أن تبدِّل المعايير كلَّها، وتبدِّل الوسائل والخطط أيضًا! إنَّ العِزَّة كلَّها لله، وليس شيء منها عند أحد سواه، فمن كان يريد العِزَّة، فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره. ليطلبها عند الله، فهو واجدها هناك، وليس بواجدها عند أحد، ولا في أي كَنَف، ولا بأي سبب فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) .

– وقال الله تبارك وتعالى: الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا [النِّساء: 139].

قال ابن كثير: (أخبر تعالى بأنَّ العِزَّة كلَّها لله وحده لا شريك له، ولمن جعلها له.

كما قال في الآية الأخرى : مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا [فاطر: 10].

وقال تعالى: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ [المنافقون: 8].

والمقصود من هذا التَّهْيِيج على طلب العِزَّة من جناب الله، والالتجاء إلى عبوديَّته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النُّصْرَة في هذه الحياة الدُّنْيا، ويوم يقوم الأشهاد).

العِزَّة في السُّنَّة النَّبَوِيَّة

عن تميم الدَّاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ليَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر .

وكان تميم الدَّاري يقول :

قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخيرُ والشَّرَف والعزُّ، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذُّل والصَّغَار والجِزْية.

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلَّا أدخله الله كلمة الإسلام، بِعزِّ عَزِيزٍ، أو ذُلِّ ذَلِيلٍ، إمَّا يُعِزُّهم الله، فيجعلهم من أهلها، أو يُذِلهُّم، فيدينون لها .

ففي هذا الحديث يُبَشِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بِعِزِّ هذا الدِّين وتمكينه في الأرض، وأنَّ هذا العِزَّ والتَّمكين سيكون سواءً بِعِزِّ عَزِيزٍ، أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ.

والحديث مُقْتَبَسٌ من قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [التَّوبة: 33].

وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُيينة بن حصن بن حذيفة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة، رئيسي غَطَفَان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة، وجرت المراوَضةَ في ذلك، ولم يتمَّ الأمر، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فقالا: يا رسول الله، أشيء أمرك الله به فلا بدَّ لنا منه؟ أم شيء تحبُّه فنصنعه، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا أنيِّ رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة.

فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطيقون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرَى أو بَيْعًا، فحين أكرمنا الله تعالى بالإسلام، وهدانا له، وأعزَّنا بك وبه– نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلَّا السَّيف.

فصوَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه، وتمادوا على حالهم .

وهكذا كأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يربِّيهم على معاني العِزَّة، ويغرسها في قلوبهم غرسًا.

العزة من أخلاق الرسول

العزة من أعظم ما اتصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلاق، وقد دلَّ على ذلك مواقفه وكلماته في الموقف المختلفة، ولكن قبل الحديث عن العزة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم نوضح إشكالاً قد يطرحه البعض وهو:

كيف تكون العزة لله جميعًا، ثم تكون لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؟

وقد تساءل الشيخ الشرباصي عن هذا الإشكال فقال: قد يعترض معترض فيقول: كيف نجمع بين قول الحقّ سبحانه: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: 10]، وقوله عزَّ من قائل: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: 8].

والجواب:

أنّه لا تنافي بين الآيتين؛ لأنَّ العزّ الذي هو للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين هو في الحقيقة ملك لله ومخلوق له، وعزّه سبحانه هو المصدر لكلِّ عزّ، ومن ثَمّ يكون عزّ الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مستمدّ من عزّ الله عز وجل. وعلى هذا فالعزُّ كلُّه لله، والعزّة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلاّ إذا استظلّت بظلّ الله، واحتمت بحماه.

أمّا عزّة الكفّار المشار إليها في الآية الكريمة: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} [ص: 2].

فهي تعزُّز، وهو في الحقيقة ذلٌّ؛ لأنّه تشبّع من الإنسان بما لم يعطه، وقد تستعار العزّة للأنفة والحميَّة المذمومة، كما في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ} [البقرة: 206]. وكلّ ذلك ليس من العزِّ الحقيقيّ في شيء.

مواقف من عزة الرسول

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزيزًا في حياته قبل الإسلام وبعده، فقد كانت عزة نفسه تأبى عليه أن يسجد لحجر لا يضر ولا ينفع، كما كانت تمنعه من يأتي ما اعتاده قومه من الفواحش كالكذب والغش والخيانة والزنا وشرب الخمر.

لم يسجد لصنم قط

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (حَدَّثَتْنِي أُمُّ أَيْمَنَ قَالَتْ: كَانَتْ بُوَانَةُ صَنَمًا تَحْضُرُهُ قُرَيْشٌ وَتُعَظِّمُهُ وَتَنْسُكُ لَهُ وَتُحَلِّقُ عِنْدَهُ وَتَعْكُفُ عَلَيْهِ يَوْمًا إلى اللَّيْلِ فِي كُلِّ سَنَةٍ).

فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَحْضُرُهُ مَعَ قَوْمِهِ، وَيُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحْضُرَ ذَلِكَ الْعِيدَ مَعَهُمْ، فَيَأْبَى ذَلِكَ. قَالَتْ: حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا طَالِبٍ غَضِبَ عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ عَمَّاتِهِ غَضِبْنَ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ الْغَضَبِ، وَجَعَلْنَ يَقُلْنَ: إِنَّا لَنَخَافُ عَلَيْكَ مِمَّا تَصْنَعُ مِنَ اجْتِنَابِ آلِهَتِنَا، وَيَقُلْنَ: مَا تُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَحْضُرَ لِقَوْمِكَ عِيدًا وَلا تكثر لهم جمعًا. فلم يزالوا بِهِ حَتَّى ذَهَبَ فَغَابَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَجَعَ مَرْعُوبًا فَزِعًا، فَقُلْنَا: مَا دَهَاكَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي لَمَمٌ». فَقُلْنَا: مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ليبتلك بِالشَّيْطَانِ وَكَانَ فِيكَ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ مَا كَانَ، فَمَا الَّذِي رَأَيْتَ؟ قَالَ: «إِنِّي كُلَّمَا دَنَوْتُ مِنْ

صَنَمٍ مِنْهَا، تَمَثَّلَ لِي رَجُلٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ يَصِيحُ بِي: وَرَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ لا تَمَسَّهُ». قَالَتْ: فَمَا عَادَ إلى عِيدٍ لَهُمْ، حَتَّى تَنَبَّأَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلامُهُ).

وهكذا كانت حياته صلى الله عليه وسلّم حياة زكية طاهرة، من الآثام التي تدنس الشباب في مجتمعاتهم، بعيدة عن الشرك، لم يسجد لصنم قط، بعيدًا عن معايب الجاهلية، ومفاسدها.

اعتزاز الرسول بالإسلام

وبعد الإسلام كانت كل مواقفه صلى الله عليه وسلم تنطق بالعزة المنزهة عن الكبر والفخر والخيلاء، فقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الله –عز وجل– بعثه من خير قرون بني آدم؛ فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

عزة الرسول في حمل الرسالة

فقد جاء وفد من كفار قريش لعمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي طالب يستنكرون على رسول الله، وقالوا له: "وَإِنّا وَاَللّهِ لا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلامِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتّى تَكُفّهُ عَنّا، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيّاكَ فِي ذَلِكَ".

فبعَثَ أبو طالب إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: يا ابن أخي، إنّ قومك قد جاءوني، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ، فَأَبْقِ عَلَيّ، وَعَلَى نَفْسِك، وَلا تُحَمّلْنِي من الأمر ما لا

أطيق. فَظَنَّ رَسُولُ اللهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ أنه قد بدا لعمه فيه أَنّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ، وَأَنّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نصرته والقيام معه.

فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمّ، وَاَللهِ لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ».

ثُمّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قَامَ، فَلَمّا وَلّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: أقبل يا ابن أَخِي. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله صَلّى الله عليه وسلم، فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا.

عزة الرسول بعبادته لربه

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحمل الأذى من المشركين، ولكنه كان يوقفهم عند حدودهم، ولا يسمح لهم بتجاوزها، فهو وإن كان مأمورًا بالصبر عليهم والإعراض عنهم، فإنه –أيضًا– عزيز لا يرضى الله له المهانة، وعندما تجرأ كفار قريش عليه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم عند الكعبة، فوجموا وخافوا دعوته، وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم من نصيبهم، فقتلوا جميعًا يوم بدر؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، فجاء به، فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم ووضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئًا لو كان لي منعة. قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره..

فرفع رأسه ثم قال: "اللهم عليك بقريش" ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم. قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سَمَّى "اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط". وعَدَّ السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب قليب بدر.

عزة الرسول في قتال المشركين

ففي غزوة أحد عصا الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانقلبت الدائرة على المسلمين، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق جبل أحد، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تجيبوه». فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيبوه». فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا.

فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك. قال أبو سفيان: أُعْلُ هُبَل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله أعلى وأجل». قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مُثْلةً لم آمر بها ولم تسؤني.

فهذه مواقف من العزة كخلق من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي ظهر منها ما ينبغي أن تكون عليه عزة المسلم في حمل عقيدته وتبليغ رسالة ربه وافتخاره بما يحمله من مشروع سماوي فيه صلاح العباد والبلاد، كل ذلك من غير فخر ولا استعلاء على خلق الله.

دخل ربعي بن عامر على رستم، وقد زيَّنوا مجلسه بالنمارق المذهَّبة والزَّرَابِيِّ الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب.

ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف، وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه، ودرعه، وبيضته على رأسه.

فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكَّأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قَبِلَ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخِّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحبّ إليكم؟ يومًا أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

فقال: ما سَنَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخِّرَ الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل. فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعزَّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟

فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصونون الأحساب.

– عن أسلم أبي عمران التجيبي، قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًّا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، على أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صفِّ الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله! ألقى بيديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب، فقال: يا أيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعزَّ الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرًّا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعزَّ الإسلام وكثر ناصروه، فلما أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم يردُّ علينا ما قلنا: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: 195]. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دُفن بأرض الروم.

الحجاج يلبي

توسعت فتوحات المسلمين في بلاد الهند والسند (معظم باكستان الآن) خاصة في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، وكانت بين الحجاج وبين داهر ملك السند وقائع شديدة، وقد أشجى داهر قواد الحجاج وأذاقهم مرارة الهزيمة المرة بعد المرة، غير أن اللافت للنظر أن مصرع هؤلاء القواد لم يحمل الحجاج على الجد في قتال داهر بمقدار ما حمله عليه استغاثة امرأة عربية مسلمة، اعتدى عليها وعلى نسوة عربيات كن معها بعض قراصين البحر من أهل السند التابعين لداهر.

ذكر البلاذري في فتوح البلدان، أن ملك جزيرة الياقوت (جزيرة سيلان أو سريلانكا الآن، كان يقال لها جزيرة الياقوت؛ لحسن وجوه نسائها)، أراد التقرب من الحجاج فأهدى إليه نسوة ولدن في بلاده مسلمات ومات آباؤهن وكانوا تجارا، فعرض للسفينة التي كن فيها قراصين من ميد الديبل (كراتشي الآن) فأخذوا السفينة بما فيها، فنادت امرأة منهن من بني يربوع: يا حجاج! وبلغ الحجاج ذلك، فقال يا لبيك! وأرسل من فوره إلى داهر يسأله تخلية النسوة. فأجاب بأنه أخذهن لصوص لا قدرة له عليهم. فأغزى الحجاج اثنين من عماله ثغر السند فكلاهما قتل، فاهتاج الحجاج بن يوسف وتجرد لقتال داهر، وكان قد أعد محمد بن القاسم لغزو الري فلما حدث ما حدث على حدود السند رأى في هذا الشاب من يرأب الصدع ويدرك الثأر، فرده عن غزو الري وعقد له على مكران (إقليم بلوشستان بباكستان الآن) وثغر السند، وأمره أن يقيم بشيراز حتى توافيه القوة التي أخذ يعدها لقتال داهر.

كانت هذه القوة مؤلفة من جيش وأسطول، أما الجيش فكانت عدته زهاء عشرين ألف مقاتل، منهم ستة آلاف فارس من جند الشام. وأما الأسطول فكان يحمل المشاة والمؤن وعدد الحرب الثقيلة، ومن هذه خمس مجانيق ضخام، يقال لأكبرها (العروس). ويروي البلاذري أنه كان يمد فيها خمسمائة رجل. وبالغ الحجاج على عادته في إعداد الجيش حتى أنه: جهزه بكل ما احتاج من الخيوط والمسال وعمد إلى القطن المحلوج فنقع في الخل الخمر الحاذق ثم جفف في الظل، فقال: إذا

صرتم إلى السند فإن الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن ثم اطبخوا به واصطبغوا، ثم تقدم إلى محمد ألاّ يقطع عنه أخباره حيث يختلف البريد بينهما مرة كل ثلاثة أيام ٠

خرج محمد بن القاسم بجيشه من شيراز سنة 90هـ، متجهًا إلى مكران واتخذها قاعدة له، وتقدم نحو الديبل (كراتشي الآن)، حتى استولى عليها، وبنى بها المساجد وأسكنها أربعة آلاف مسلم، ثم واصل سيره، فكان لا يمرُّ على مدينة إلَّا فتحها، وهدم معابد الوثنية والبوذية بها، وأقام شعائر الإسلام، وأسكنها المسلمين، ثم واصل فتحه، ففتح البيرون (وهي حيدر آباد حاليًا)، ثم توَّج ذلك كله بالانتصار على داهر ملك السند في معركة حامية سنة 93هـ، قال البلاذري: ونظر الحجاج فإذا هو قد أنفق على محمد بن القاسمستين ألف ألف درهم، ووجد ما حمل إليه عشرين ومائة ألف ألف، فقال: شفينا غيظنا وأدركنا أثارنا وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر ٠

ثم مضى ابن القاسم ففتح الملتان (عاصمة إقليم البنجاب في باكستان الآن) سنة 95هـ،

وقضى على كل التماثيل والمعابد البوذية هناك، وغنم مغانم كثيرة من الذهب والفضة، ولهذا سميت الملتان بيت أو ثغر الذهب ٠

وفي أثناء وجود محمد بن القاسم في الملتان جاءه خبر وفاة الحجاج 95هـ، فاغتم لذلك غير أنه واصل فتوحاته، فاستكمل فتح بلاد السند كاملة حتى وصل إلى كشمير (ما بين الهند وباكستان والصين)، وبذلك أنجز ابن القاسم الثقفي هذا الفتح كله في المدة بين سنة (89هـ – 95هـ)٠

فانظر أخي٠٠ ها هي بلاد الهند والسند بحضارتهما وتاريخهما تفتحان ويدخلهما الإسلام تلبية لنداء مسلمة، اغتصب حقُها وانتهك عرضُها ٠

المعتصم يزأر

إذا أردت أن تقرأ عن معركة رُدَّت فيها كرامة أمة واستعادت فيها هيبة دولة ورُدَّ بها اعتبارها كأعظم قوة في العالم، فاقرأ عن خبر فتح المعتصم عمورية، وإن شئت فاقرأ عن خبر (وامعتصماه).

تحكي كتب التاريخ أن إمبراطور الروم توفيل ميخائيل جهَّز جيشًا يزيد قُوامه على مائة ألف جندي، وسار به إلى بلاد الإسلام سنة 223هـ، فهاجم المدن والقرى، حتى بلغ زِبَطْرَةُ، فقتل من بها من الرجال، وسبى الذرية والنساء، وأغار على أهل مَلَطْيَةُ (من مدن تركيا) وغيرها من حصون المسلمين، وسبى المسلمات، ومثَّل بمن صار في يده من المسلمين وسمل أعينهم، وقطع أنوفهم وآذانهم، فخرج إليهم أهل الثغور من الشام والعراق، إلا من لم يكن له دابة ولا سلاح.

وقد ضجَّ المسلمون في مناطق الثغور كلها، واستغاثوا في المساجد والطرقات، حتى قال شاعرهم:

يا غارة الله قد عاينت فانتهكي *** هتك النساء وما فيهن يرتكب

هبَّ الرجال على أجرامها قُتلت *** ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وبلغ الخبر المعتصم فاستعظمه، وبلغه أن هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم: وامعتصماه.

فأجاب المعتصم وهو على سريره: لبيك لبيك، وصاح في قصره: النفير النفير، ونهض من ساعته بخمسمائة ألف مجاهد. وعندما سار المعتصم بالله باتجاه الثغور تساءل: أي بلاد الروم أمنع وأحصن؟

فقيل: عمورية، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام، وهي عين النصرانية وبنكها، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية، فسار باتجاهها، وتجهَّز جهازًا قيل: إنَّه لم يتجهَّز قبله بمثله. من السلاح والعدد وآلات الحصار والنفط.

وكانت أول فتوحات المعتصم أنقرة في 25 شعبان 223هـ، ففتحها بسهولة، واتجه بعدها إلى عمورية (مدينة عظيمة في هضبة الأناضول وسط تركيا، ولم يبق منها الآن سوى آثار)، وبدأ حصار

عمورية في (6 رمضان 223هـ/ 1 أوت 838م)، ونصب المجانيق عليه، وبدأت المجانيق الضخمة مع آلات الحصار الأخرى تعمل عملها، حتى سقطت عمورية بعد أهم معركة عربية استخدمت فيها أدوات الحصار الضخمة الكبيرة كالدبابات والمجانيق والسلالم والأبراج على اختلاف أشكالها وأنواعها، وذلك بعد حصار دام خمسة وخمسين يوما، من سادس رمضان إلى أواخر شوال سنة 223هـ.

ثم أمر المعتصم بطرح النار في عمورية من سائر نواحيها، فأحرقت وهدمت، وعاد بعدها المعتصم بغنائم كبيرة إلى طرسوس، ومنها إلى سامراء منتصرًا مظفرًا. فتأمل أيها الغيور كيف حرَّك المعتصم جيوشًا غوثًا لصيحة الهاشمية الحرة (وامعتصماه)، لتظل (وامعتصماه) رمز الشجاعة العربية، ورمز المحافظة على حرمات المسلمين والدفاع عنها .

المنصور ابن أبي عمر يستغيث

جاء في سيرة حروب الحاجب المنصور ابن أبي عامر حاكم الأندلس أنه سَيَّر جيشًا كاملاً لإنقاذ ثلاث من نساء المسلمين كنَّ أسيرات لدى مملكة نافار (أقصى الجنوب الفرنسي وشمال إسبانيا النصرانية).

ذلك أنه كان بينه وبين مملكة نافار عهد، وكانوا يدفعون له الجزية، وكان من شروط هذا العهد ألاَّ يأسروا أحدًا من المسلمين أو يستبقوهم في بلادهم، غير أنه قد حدث أمرٌ استفز المنصور وجيَّش من أجله الأندلس بكاملها، فتأمل ما يقوله ابن عذارى المراكشي عن هذا الأمر في كلمات بديعة وعبارات أنيقة، أجمل ما تقرأه من حال أمة عزيزة كريمة:

(ومن أوضح الأمور هنالك، وأفصح الأخبار في ذلك، أن أحد رسله (رسل المنصور) كان كثير الانتياب، لذلك الجناب، فسار في بعض مسيراته إلى غرسية (ت 390هـ / 1000م) صاحب البشكنس (ممكلة نبره أو نافار النصرانية) فوالى في إكرامه، وتناهى في برِّه واحترامه، فطالت مدَّته فلا متنزَّه إلا مرَّ عليه متفرِّجا، ولا منزل إلا سار عليه معرِّجا، فحلَّ في ذلك، أكثر الكنائس هنالك،

فبينما هو يجول في ساحتها، ويجيل العين في مساحتها، إذ عرضت له امرأة قديمة الأسر، قويمة على طول الكسر، فكلمته، وعرَّفته بنفسها وأعلمته، وقالت له: أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بوسها، ويتمتَّع بلبوس العافية وقد نضت لبوسها، وزعمت أن لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة، وبكل ذل وصغار ملبسة، وناشدته الله في إنهاء قصتها، وإبراء غصَّتها، واستحلفته بأغلظ الأيمان، وأخذت عليه في ذلك أوكد مواثيق الرحمن· فلمَّا وصل إلى المنصور عرَّفه بما يجب تعريفه به وإعلامه، وهو مصغٍ إليه حتى تم كلامه، فلما فرغ قال له المنصور: هل وقفت هناك على أمر أنكرته، أم لم تقف على غير ما ذكرته؟ فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه إليه، وبالمواثيق التي أخذت عليه· فعتبه ولامه، على أن لم يبدأ بها كلامه، ثم أخذ للجهاد من فوره، وعرض من الأجناد في نجده وغوره، وأصبح غازيًا على سرجه، مباهيًا مروان يوم مرجه، حتى وافى ابن شانجة في جمعه، فأخذت مهابته ببصره وسمعه، فبادر بالكتاب إليه يتعرف ما الجليَّة، ويحلف له بأعظم أليَّة، أنه ما جنى ذنبًا، ولا جفا عن مضجع الطاعة جنبًا، فعنف إرساله، وقال لهم –أي المنصور: كان قد عاقدني أن لا يبقى ببلاده مأسورةٌ ولا مأسور، ولو حملته في حواصلها النسور، وقد بلغني بعد بقاء فلانة المسلمة في تلك الكنيسة، ووالله لا أنتهي عن أرضه حتى أكتسحها· فأرسل إليه المرأة في اثنتين معها، وأقسم أنه ما أبصرهنَّ ولا سمع بهنَّ، وأعلمه أن الكنيسة التي أشار بعلمها، قد بالغ في هدمها، تحقيقًا لقوله، وتضرع إليه في الأخذ في بطوله، فاستحيا منه، وصرف الجيش عنه، وأوصل المرأة إلى نفسه، وألحف توحشها بأنسه، وغيَّر من حالها، وعاد بسواكب نعماه على جدبها وإمحالها، وحملها إلى قومها.

وكحلها بما كان شرد من نومها ·

فهل رأت أمة من الكرامة والعزة مثل ما كان من أمر الحاجب المنصور ابن أبي عامر (366هـ – 392هـ)، المجاهد الذي لا يهزم، غزا في حياته أربعًا وخمسين غزوة، لم يُهزم أبدًا في واحدة منها·

من الآن لأعراض المسلمين؟

ذلكم كان التاريخ المجيد فماذا عن صورتنا الآن! إنها صور مؤلمة تتقطع القلوب منها حسرات، وتدمع العيون منها دماء، عندما نرى ونسمع صور لنداءات المسلمات العزل، تنتهك أعراضهن وتنجس حرماتهن ولا تجد قلبا يتفطر ولا عينا تدمع، فيا لحسرة القلب على نداءات هناك وهناك وهناك وهناك ولا تجد لها مجيبا!

يا أمتي، أي خير في رجالك إن كانوا لا يستطيعون الحفاظ على طهر أخواتهن من قذارة ذلك النجس! آهات في صدري لا أدري كيف أخرجها، كيف أصوغها، كيف أترجمها فهي أكبر من أن أحوّلِها إلى حروف.

أقوال السَّلف والعلماء في العِزَّة

قال عبد الله بن عمرو :

(إيَّاك وعزَّة الغضب، فيضيرك إلى ذُلِّ الاعتذار. وإذا ما عَرَتك في الغضب العِزَّة فاذكر مَذَلَّة الاعتذار).

وقيل للحسن بن علي رضي الله عنهما:

فيك عَظَمَة. قال: لا، بل فيَّ عِزَّة الله تعالى، قال الله تعالى: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ [المنافقون: 8].

وقال ابن أبي لبابة:

(من طلب عِزًّا بباطل، أورثه الله ذُلًّا بحقٍّ).

قال رجل للحسن :

(إنِّي أريد السِّند فأوصني. قال: أَعِزَّ أَمْرَ الله حيث ما كنت، يُعِزَّك الله. قال: فلقد كنت بالسِّند، وما بها أحدٌ أعزَّ منِّي).

وقال ابن عطاء :

(العِزُّ في التَّواضع، فمن طلبه في الكِبْر، فهو كتطلُّب الماء من النَّار).

وقال الأحنف :

(لا تعدَّنَّ شَتْم الوالي شَتْمًا، ولا إغلاظه إغلاظًا، فإنَّ ريح العِزَّة تُبْسط اللِّسان بالغلظة في غير بأس ولا سخط).

وقال بعض السَّلف:

(النَّاس يطلبون العِزَّ بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلَّا في طاعة الله) .

وقال إبراهيم بن شيبان:

(الشَّرَف في التَّواضع. والعِزُّ في التَّقوى. والحرِّية في القناعة).

وعن سفيان الثَّوري أنَّه قال:

(أَعَزُّ الخَلْق خمسة أنفس: عالم زاهد، وفقيه صوفيٌّ، وغنيٌّ متواضع، وفقير شاكر، وشريف سني).

وكان من دعاء بعض السَّلف:

(اللهمَّ أعِزَّني بطاعتك، ولا تذلَّني بمعصيتك).

وقال آخر:

(إذا طلبت العِزَّة، فاطلبها في الطَّاعة، وإن طلبت الغِنى، فاطلبه في القناعة).

وقال الغزالي:

(من رزقه القناعة حتى استغنى بها عن خَلْقه، وأمدَّه بالقوَّة والتَّأييد حتى استولى بها على صفات نفسه، فقد أعزَّه، وآتاه الملك عاجلًا، وسيعزُّه في الآخرة بالتَّقريب) .

وقال أيضًا :

(العزيز من العباد : من يحتاج إليه عباد الله في أهمِّ أمورهم، وهي الحياة الأخرويَّة، والسَّعادة الأبديَّة، وذلك ممَّا يَقِلُّ –لا محالة– وجوده، ويصعب إدراكه، وهذه رتبة الأنبياء –صلوات الله عليهم أجمعين– ويشاركهم في العزِّ، من ينفرد بالقُرب من درجتهم في عصره، كالخلفاء وورثتهم من العلماء، وعزَّة كلِّ واحدٍ منهم بقدر عُلوِّ رتبته عن سهولة النَّيل والمشاركة، وبقدر عنائه في إرشاد الخَلْق).

وقال ابن القيّم :

(العِزَّة والعُلُوُّ إنَّما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو علمٌ وعملٌ وحالٌ، قال تعالى: وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. [آل عمران: 139] فللعبد من العُلُوِّ بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ [المنافقون: 8]، فله من العِزَّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظٌّ من العُلُوِّ والعِزَّة، ففي مُقَابَلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا).

وقال ابن باديس :

(الجاهل يمكن أن تعلِّمه، والجافي يمكن أن تهذِّبه، ولكن الذَّليل الذي نشأ على الذُّلِّ، يَعْسُر أو يتعذَّر أن تغرس في نفسه الذَّليلة المهينة عزَّةً وإباءً وشهامةً تُلْحِقه بالرِّجال) .

قال السهروردي– رحمه الله :

"العزَّة غير الكِبْر؛ لأن العزَّة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه وإكرامها، كما أن الكِبْر جهل الإنسان بنفسه، وإنزالها فوق منزلتها".

والعزَّة منها المحمودة، ومنها المذمومة.

- أما العزَّة المحمودة فهي:

"أن يعتز الانسان بربه وبدِينه، وأن يكون مع المؤمنين لينًا متواضعًا، وعلى أعداء الله عزيزًا مترفِّعًا، ومن العزَّة المحمودة الترفُّع عن الدنايا وسفاسف الأمور وتوافِهِ القضايا".

- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 54].

• **وأما العزَّة المذمومة فهي:**

"البُعد عن الوهاب، والفخر بالأنساب، والتعلُّق بالتراب، والتعالي على العباد، ورفض النُّصح والإرشاد".

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: 204 – 206].

العِزَّة الشَّرعيَّة :

إنَّها العِزَّة الحقيقيَّة.. العِزَّة في الحقِّ، وبالحقِّ، والتي يكون صاحبها عزيزًا ولو كان ضعيفًا مَظْلومًا، شامخًا ولو كان طريدًا مُستضَامًا، فتجده لا يركع إلا لله، ولا يتنازل عن شيء ممَّا أَمَره به، فهو يَعْتَزُّ بعِزَّة الله – تبارك وتعالى – الذي يُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، فهذه هي العِزَّة بالحقِّ؛ لأنَّها اعْتِزَاز بمن يملكها، وإذعان له، وانتساب لشرعه وهديه .

وهي التي ترتبط بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول تعالى: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ [المنافقون: 8]، ووجه ذلك: أنَّ العِزَّة – التي لله ولرسوله وللمؤمنين – هي الدَّائمة الباقية، التي هي العِزَّة الحقيقيَّة، والعِزَّة التي هي للكافرين : هي التَّعزُّز، وهو –في الحقيقة– ذُلٌّ .

إنَّ (العِزَّة والإِباء والكرامة من أبرز الخِلَال التي نادى بها الإسلام، وغرسها في أنحاء المجتمع، وتعهَّد نماءها بما شرع من عقائد، وسنَّ من تعاليم، وإليها يشير عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بقوله : أُحِبُّ الرَّجل –إذا سِيمَ خطَّة خَسْف – أن يقول – بملء فيه – : لا) [خلق المسلم،لمحمد الغزالى]

.

صور العِزَّة الشَّرعيَّة :

1– الاعْتِزَاز بالله تبارك وتعالى :

فهو يعرف أنَّ الله عزيز، يَهَب العِزَّة من يشاء، كما أنَّه ينزعها ممَّن يشاء، كما أنَّه يوقن أنَّ الاعْتِزَاز بالعزيز عزَّة ، والاعتماد عليه قوَّة، والالتزام بنَهْجِه شموخ فتراه قويًّا بإيمانه به عزيزًا بتوكُّله عليه شامخًا بيقينه به .

وهو يعلم أنَّ الاعْتِزَاز بغيره ذلٌّ وهَوَان، والاستقواء بغيره ضعف، مُعْتَبِرًا بحال كلِّ من اعتزَّ بغير الله تعالى كيف هَوَى إلى مدارك الذِّلة، وهبط إلى حضيض المهَانة، وكيف تخلَّى عنه من اعتزَّ بهم، ليتَدَحْرج من ذُرَى العلياء والمجد – المزعوم الكاذب – إلى أسفل دركات الذُّلِّ؛ قال عبيدة بن أبي لبابة : (من طلب عزًّا بباطل وجور، أورثه الله ذُلًّا بإنصاف وعدل) [غرر الخصائص الواضحة،للوطواط] .

2– الاعْتِزَاز بالانتساب للإسلام، والاعْتِزَاز بهديه وشرائعه :

فهو يعلم أنَّ هذا الدِّين دين العِزَّة والقوَّة، الذي يستمدُّ المسلمون عزَّهم من عِزِّه، وقوَّتهم من قوَّته، ومتى طلبوا العِزَّة في سواه –من مناهج الأرض الشَّرقيَّة أو الغربيَّة– أذلَّهم الله .

كما أنَّه لا يعتزُّ بقبيلة أو قوميَّة أو نسب أو عِرْق ممَّا ينتسب إليه أهل الجاهليَّة في القديم والحديث، بل عزَّته بدينه فقط، وعلى هذا ربَّى نبيُّنا صلى الله عليه وسلم أصحابه، فلمَّا سمعهم –بأبي هو وأمي، صلَّى الله عليه وسلَّم– ينادي بعضهم : يا للأنصار، وآخرون ينادون : يا للمهاجرين، قال صلى الله عليه وسلم : ((أبِدَعْوَى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم)) [ذكرها ابن هشام فى السيرة]وقال: ((دعوها فإنَّها منتنة)) [رواه البخارى ومسلم] .

حال المسلم – في اعْتِزَازه بدينه –كحال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حين قال : (نحن أمَّة أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العِزَّة بغيره، أذلَّنا الله) [صحححه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة على شرط الشيخين] .

فلا اعْتِزَاز إلَّا بالإسلام، ولا انتماء إلَّا إلى الإسلام .

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه

إذا افتخروا بقيس أو تميم

3– الاعْتِزَاز برسول الله صلى الله عليه وسلم :

فهو يعتَـزُّ بكونه فَرْدًا في أمَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم ، ينتسب إليه إذا انتسبت الأمم، ويُفَاخر به إذا ذُكِر القادة والمصلحون العظماء، يرجو شفاعته، ويتمنَّى لقائه، ويسأل الله أن يوفِّقه للسِّير على نهجه وإحياء سنَّته، والقيام بحقوقه .

العِزَّة غير الشَّرعيَّة :

كاعْتِزَاز الكفَّار بكفرهم، وهو –في الحقيقة– ذُلٌّ، يقول –سبحانه– : " بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ " [ص: 2] أو الاعْتِزَاز بالنَّسب على جهة الفَخْر، أو الاعْتِزَاز بالوطن والمال ونحوها، كلُّ هذه مذمومة .

من صور العِزَّة غير الشَّرعيَّة :

1– الاعْتِزَاز بالكفَّار من يهود ونصارى ومنافقين وغيرهم :

قال تعالى : " بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " [النِّساء: 138–139] .

(واللهُ – جلَّ جلاله – يسأل في استنكار : لِمَ يتَّخذون الكافرين أولياء، وهم يزعمون الإيمان ؟ لِمَ يضعون أنفسهم هذا الموضع، ويتَّخذون لأنفسهم هذا الموقف ؟ أهم يطلبون العِزَّة والقوَّة عند الكافرين ؟ لقد استأثر الله عزَّ وجلَّ بالعِزَّة، فلا يجدها إلَّا من يتولَّاه، ويطلبها عنده، ويَرْتَكِن إلى حِمَاه)[فى ظلال القرآن ،لسيد قطب] .

2– الاعْتِزَاز بالآباء والأجداد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ((لينتهينَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنَّما هم فَحْم جهنَّم، أو ليكوننَّ أهْوَن على الله من الجُعَلِ الذي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بأنفه، إنَّ الله أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وفخرها بالآباء، إنَّما هو مؤمن تقيٌّ، وفاجر شقيٌّ، النَّاس كلُّهم بنو آدم، وآدم خُلِق من تراب)) [حسنه الألبانى ،صحيح سنن الترمذى] .

3– الاعْتِزَاز بالكثرة، سواءً كان بالمال أو العدد :

قال تعالى في قصَّة صاحب الجنَّة، في سورة الكهف : " وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا " [الكهف: 34] .

قال ابن كثير : " أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا " (أي : أكثر خدمًا وحشمًا وولدًا) .

قال قتادة : تلك –والله– أمنيَّة الفاجر : كثرة المال وعزَّة النَّفر [تفسير ابن كثير] .

أسباب العِزَّة الشَّرعيَّة :

1– الاعتقاد الجازم والإيمان اليقينيُّ بأنَّ الله تعالى هو العزيز الذي لا يَغْلِبه شيء، وأنَّه هو مصدر العِزَّة وواهبها، قال تعالى : " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " [آل عمران: 26] فلا نصر إلَّا به، ولا استئناس إلَّا معه، ولا نجاح إلَّا بتوفيقه .

قال ابن القيّم : (العِزَّة والعُلُوُّ إنَّما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو عِلمٌ وعملٌ وحالٌ، قال تعالى : " وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " [آل عمران: 139] فللعبد من العُلُوِّ بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى : " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " [المنافقون: 8] فله من العِزَّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظٌّ من العُلُوِّ والعِزَّة، ففي مُقَابَلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا) [إغاثة اللهفان ،لابن القيم] .

وهنا يُقْبِل مُريد العِزَّة على طاعة الله –تبارك وتعالى– فبمقدار طاعته له، تكون العِزَّة والشَّرَف والسُّؤدد، والعكس.. قال تعالى : " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " [فاطر: 10] قال طنطاوي : (والمعنى : من كان من النَّاس يريد العِزَّة التي لا ذِلَّة معها. فليطع الله، وليعتمد عليه وحده، فللَّه – تعالى – العِزَّة كلُّها في الدُّنْيا والآخرة، وليس لغيره منها شيء... قال القرطبي ما ملخَّصه : يريد –سبحانه– في هذه الآية، أن ينبِّه ذوي الأقدار والهمم، من أين تُنَال العِزَّة، ومن أين تُسْتَحق، فمَنْ طلب العِزَّة من الله– تعالى– وجدها عنده – إن شاء الله–، غير ممنوعة ولا محجوبة عنه.. ومن طلبها من غيره، وَكَلَه إلى من طلبها عنده... ولقد أحسن القائل .

وإذا تذلَّلَتِ الرِّقاب تواضعًا   منَّا إليك فعزُّها في ذلِّها   [التفسير الوسيط للطنطاوى] .

وقال قتادة : (من كان يريد العِزَّة، فليتعزَّز بطاعة الله تعالى) [السراج المنير ، للخطيب الشربينى] .

وكما أنَّ الطَّاعة تكسو الإنسان ثوب العِزَّة، وتَخْلَع عليه ثياب الكرامة، فإنَّ المعصية تكسوه ثياب الذُّلِّ، وتَخْلَع عليه المهَانة والانكسار، (والمعاصي تَسْلُب صاحبها أسماء المدح والشَّرَف والعِزَّة، وتكسوه أسماء الذُّل والذَّمِّ والصَّغار، وشتَّان ما بين الأمرينر: " أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ " [السجدة: 18] [موسوعة فقه القلوب، للتويجرى] .

2– متابعة الرَّسول صلى الله عليه وسلم في هديه، وطاعته في أمره، ولزوم سنَّته، فإنَّه بقدر ذلك تكون عِزَّة العبد في الدُّنْيا، وفلاحه في الآخرة، ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله ابن عمرو أنَّه قال : ((بُعِثْت بالسَّيف بين يدي السَّاعة، وجُعِل رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعل الذُّل والصَّغار على من خالف أمري)) [صححه الألبانى فى صحيح الجامع] .

يقول ابن القيِّم : (والمقصود أن بحسب متابعة الرَّسول تكون العِزَّة والكِفَاية والنُّصْرَة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنَّجاة، فالله – سبحانه – علَّق سعادة الدَّارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدَّارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعِزَّة والكِفَاية والنُّصْرَة والولاية والتَّأييد وطيب العيش في الدُّنْيا والآخرة، ولمخالفيه الذِّلَّة والصَّغار والخوف والضَّلال والخذلان والشَّقاء في الدُّنْيا والآخرة) [زاد المعاد] .

3 – اليقين بأنَّ دين الله قد كُتِب له العُلُوُّ والتَّمكين في الأرض، وأنَّ دولة الكافرين وعزَّهم سائرة إلى زوال؛ لأنَّها بُنيت على باطل وسراب، فبهذا الاعتقاد يتولَّد عند المؤمن شعور بالعِزَّة، وإحساس بالشَّرَف والعُلُوِّ.

نماذج في العِزَّة عند العلماء المعاصرين

عبد الحميد الجزائري :

استدعى المندوب السَّامي الفرنسي في سورية الشَّيخ عبد الحميد الجزائري، وقال له : إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار، وإلَّا أرسلت جنودًا لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السُّموم ضدَّنا، وإخماد أصواتك المنكرة ، فأجاب الشَّيخ عبد الحميد : أيُّها الحاكم، إنَّك لا تستطيع ذلك ؟! واستشاط الحاكم غضبًا، وقال : كيف لا أستطيع ؟ قال الشَّيخ : إذا كنتُ في عُرْسٍ علَّمتُ المحتفلين، وإذا كنتُ في مأتم وعظتُ المعزّين، وإن جلستُ في قطار علَّمتُ المسافرين، وإن دخلتُ السِّجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهبت مشاعر المواطنين، وخير لك أيُّها الحاكم ألا تتعرَّض للأمَّة في دينها ولغتها [أقباس روحانية،نقلا من صلاح الأمة،بتصرف] .

وختامًا:

إن الإنسانَ الذي جاهد نفسَه واقترب مِن ربه حتى أذاقه الله تعالى طعم العزَّة والكرامة لا بد عليه أن يغرس هذه العزَّة في نفوس غيره مِن المسلمين، ولا يقبل أن يراهم أذلاءَ إلا لله تعالى، أو لمؤمن يتقي الله تعالى فيهم كما يأمُرُ ربُّنا ويرضى.

اللهم اكتُبْ لنا بالإسلام عزًّا، وبطاعتك عزًّا، وبمرافقةِ خير الأنام صلى الله عليه وسلم عزًّا


مجلة شذرات ثقافية
العدد الثامن
الأستاذ عدوم لخضر
قيمة الجمال ومقاصدها

قيمة الجمال ومقاصدها

"الجمال هو التناسب بين أجزاء الهيئات المركبة سواء أكان ذلك في الماديات أم في المعقولات، وفي الحقائق ام في

الخيالات."

كذا عرفه المنفلوطي في نظراته ، فهو يقيم الجمال على التناسب والائتلاف سواء كان ذلك في الأمور المادية أو العقلية أو الحقيقية أو الخيالية ، فلولا تناسب الكون في أرضه وسمائه وتعاقب ليله ونهاره وتآلف أجزائه ومكوناته ما أخذ بالألباب وجالت في جماليته العيون وأبصار وسُطرت في سبيل وصفه الدواوين والأشعار.. ولولا انتظام النغمة وقوة إحكامها من غير نشاز ما استقرت في الأفئدة ومالت إليها النفس ،ولمجتها الأسماع ونفرت منها الطباع !

والجمال قيمة مطلقة من حيث حبّ الناس له والسعي إلى إدراكه ، فمن ذا الذي يوثر الصحراء المقفرة على الجنةالوارفة،والسفح المقفر على الروض الناظر ، والعجوز الشمطاء على الفتاة الحسناء ، اللهم إلا فاقد العقل مخروم الفطرة !

وتعتري قيمة الجمال النسبية وتتنازعها الآراء عند تفعيلها ، فليس كل ما تراه أنت جميلا يراه غير كذلك ومردّ ذلك إلى الأذواق التي تتباين وتختلف عند بني البشر..

ولهذه القيمة مقصدية عظمى إذا فُعّلت في المجتمع وأشيعت بين الناس ، فبها تصاغ الأفكار وتؤطر وتساعد على وضعها في المسار الصحيح، وإذا عُدمت هذه القيمة في المنظومة الإجتماعية شاعت الأفكار الغريبة المستهجنة التي لا تنفع ، يقول مالك بن نبي رحمه الله :"فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال يوحي للإنسان بأفكار ، ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل أو السماجة المستهجنة"*

والإسلام حث على التحلّي بهذه القيمة وتطبيقها عمليا على أرض الواقع، دلّ على ذلك العديد من النصوص منها قوله تعالى يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) الأعراف –31– ، و قوله صلى الله عليه وسلم..(إن الله جميل يحبّ الجمال)، ونداءات الدعوة التي يرفعها الله في كتابه العزيز للتفكر في آيات الكون الجميل الضارب في المجهول (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) آل عمران –190– وقوله (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ) يونس –6–

والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الإسلام ماهي إلى صورة من صور الجمال المعنوي الذي يسمو بالفرد ويضعه مواضع الرفعة، ولعظم هذه القيمة نجد الشيخ عبد الله دراز –رحمه الله– يجعلها محورا من محاور القرآن الثلاثة ؛فهو يرى أن القرآن يدور حول ثلاثة محاور رئيسة تتمثل في : (الحق أو العنصر الديني ،والخير أو العنصر الأخلاقي ، و #الجمال أو العنصر الأدبي)**

فيتبين أنّ لقيمة الجمال مكانة عالية في الإسلام وذلك لعظم المقاصد التي تحققها ، والآثار الإيجابية المترتبة عليها ونكتفي بذكر مقصد واحد من هذه المقاصد التي تحققها هذه القيمة ، وهو إشاعة مشاعر الحب واللطف بين الناس؛ فكل من اتصف بالجمال ظاهرا وباطنا وسعى إلى إدراكه في حياته اليومية وجدته مفعما بمشاعر الحب واللطف ساعيا إلى نشر عبقهما بين الناس مبتعدا جهد الاستطاعة عن مظاهر الكره والعنف ، يقول د. مسفر بن علي القحطاني في كتابه الوعي المقاصدي :

"إن الهدف من وراء بيان مقصدية الجمال في الشريعة الإسلامية والحياة هو تأكيد ضرورية العودة إلى تلك القيم الجمالية التي ستشيع في أنفسنا ومن حولنا مشاعر الحب واللطف ، وتقضي على ندوب الكره والعنف التي ضيقت وقتّرت وجه الحياة وأزّمت العلاقة بين الأحياء ، ولعلها أن تزيد من فرص الحياة الكريمة والسعيدة بكل ما فيها من فرح ومتعة ، وكم يحزنني أن الباطل المعاصر يظهر بأجمل الحلل الخادعة ، والحق الواضح يظهر نافرا مشوها بعيدا عن الحسن ؛ حتى أصبحت مشاهد القتل والعنف والحروب وغلظة الخطاب وكآبة الحال هي ما يميز أخبار المسلمين ، ويصنع صورتهم في العالم ، مع أن حقيقة الصورة المعروضة للدين أبهى من واقعنا المعاصر ؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم كان في غاية الجمال ، ولا يرضى أن تظهر شعيرة إلا على أجمل صورة ، فبلال رضي الله عنه لم يكن صاحب الرؤيا في الأذان ولكنه استحق الصعود والبلاغ ؛ لأنه الأندى صوتا والأجمل في الأداء، وكان دحية الكلبي رضي الله عنه مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم إلى بعض ملوك الأرض لجمال صورته وروعة بيانه "

وعلم الفلسفة كذلك ضرب بسهم في هذا الموضوع وأفاض فيه وجعل له قسما خاصا به تحت عنوان (فلسفة الجمال أو الإستاطيقا) والتفصيل فيه يلزمه مقال منفرد...

- ذكر هذا القول د. مسفر في كتابه الوعي المقاصدي

** وصفي عاشور أبو زيد ، التفسير المقاصدي لسور القرآن


مجموعة شذرات ثقافية
العدد الثامن
الباحث بدر العبرى
الفريضة الغائبة
وجدلية العنف

مع كتاب "الفريضة الغائبة" لمحمّد عبد السّلام فرج وجدليّة العنف

بدر بت سالم بن حمدان العبري

باحث وكاتب عماني

قبل أن نتطرق إلى كتاب "الفريضة الغائبة" لمحمّد عبد السّلام فرج [ت 1982م]، والمتأمل في خطابه، وخطاب غيره من الشّباب قبله وبعده وفي زمنه، نجد هؤلاء حالة طبيعيّة لتراث كبير جدّا، وتجارب عديدة، وأقوال مأثورة، وإنزالات للنّصوص المقدّسة، حيث نجد حولها ثلاث مدارس:

المدرسة الأولى: المدرسة التّقليديّة أو السّلفية، والّتي شاعت في جميع المدارس الإسلاميّة، خصوصا بعد طباعة وظهور كتب التّراث، والاكتفاء بتحقيقها المنهجي فقط، وبالتّالي ظهور الصّحوة الإسلاميّة، الّتي بنيت على هذا في الغالب، وتبناها السّياسون لإسقاط الحركات اليساريّة في النّصف الثّاني من القرن العشرين الميلادي.

المدرسة الثّانية: المدرسة الإصلاحيّة أو التّجديديّة والّتي ظهرت مع العطار [ت 1835م]، ومن ثم محمّد عبده [ت 1905م] وشيخه الأفغاني [ت 1879م]، وهي مدرسة لم

تقدّم رؤية نقديّة، بقدر ما حاولت الملائمة بين الماضي والحاضر، وبين الشّرق والغرب، وهذه المدرسة أيضا سيطرت على الخطاب الرّسمي خصوصا في مصر ابتداء، وكذلك كانت أقرب إلى بعض المراكز العلميّة.

المدرسة الثّالثة: هي المدرسة النّقديّة التّفكيكيّة، الّتي حاولت أن تقدّم منهجيّة جديدة في التّعامل مع التّراث، بمحاولة فصل ما بين المقدّس وغير المقدّس، ثم قراءة التّراث قراءة ظرفيّة كأي تجربة بشريّة، وهذا مع حضورها مبكرا كما عند عليّ عبد الرّازق [ت 1966م] وأبي ريّة [ت 1970م]، إلا أنّ حضورها كان ضعيفا، وبدأت بشكل أكبر في العقدين الأخيرين.

لهذا في الحقيقة لم تتشكل نظريات كبرى في التّعامل مع التّراث، وإعادة صياغة العقل المسلم، بقدر ما كان يدور الخطاب بين المدرستين الأولى والثّانية.

من هنا نجد عبد السّلام فرج وغيره لم يكونوا شططا أو تفردا في المجموع، بقدر ما كان حالة طبيعيّة ساعد في ظهورها أسباب سياسيّة أولها نكسة 1967م، والثّاني معاهدة كامب ديفيد 1978م، وكذلك بعض الخطابات من تفرع من المدرسة الإصلاحيّة والّتي حاولت أسلمة السّياسة كأبي الأعلى المودودي [ت 1979م] وسيّد قطب [ت 1966م]، وكذا ساعدها أمران: الاستبداد السّياسي في العالم العربي، والتّعامل مع الأفكار ليس تدافعا نقديّا بقدر ما يكون كبتا أمنيا، كذلك فقدان المعاهد والجامعات الإسلاميّة القائمة على القراءة النّقديّة من الدّاخل، وتحقيق مبدأ التّدافع المعرفي.

وفي التّأريخ نجد نماذج لمثل هذا كحركة الخوارج مثل الصّفريّة والأزارقة منذ فترة مبكرة كما ينسب إليهم، وكذا حركة المطوّعة في العصر العباسي الأول، وهي حركة مارست العنف تحت ظلّ الحسبة، أو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

كلّ ما قام به عبد السّلام فرج أنّه في كتابه الفريضة الغائبة استلهم هذا الماضي بالنّصوص الّتي يقرأها الجميع، وتقبلت فترة في ظرفيتها، فاستلهم أقوال ابن تيميّة [ت 728هـ]ضدّ التّتّار في بلدة ماردين في العراق، لهذا أتى بهذه النّصوص ووظفها في الدّولة القطريّة، لهذا لمّا ردّ عليه فرج فودة [ت 1992م] في "الحقيقة الغائبة" كان ردّه من داخل التّأريخ ذاته وتناقضاته، عكس محمّد عمارة [ت 2020م] الّذي حاول كعادة الإصلاحين الملائمة والدّفع بالّتي هي أحسن في كتابه "الفريضة الغائبة: عرض وحوار وتقييم".

الحضور الرّوائي وقراءة الرّواية بالشّكل المطلق كان حاضرا من البداية في الكتاب، مع استلهام لآراء ابن تيميّة كما أسلفنا، لهذا يدخل الكتاب ضمن الحركة السّلفيّة الجهاديّة، خصوصا في تلك الفترة كان انتشار السّلفيّة بشكل كبير، ودعمت ماليا، واستخدمت سياسيّا ضدّ اليساريين ابتداء، ولإسقاط الاتّحاد السّوفييتي لاحقا، لهذا نجد المؤلف في بداية الكتاب ينطلق من روايات منسوبة إلى النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– منها: "إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها"، ورواية: "ليبلغنّ الأمر ما بلغ اللّيل والنّهار".

فالكتاب في داخله يرمز إلى واقع الخطاب الدّيني والّذي يمكن تقسيمه إلى: أولا: الخطاب الرّسمي أو خطاب السّلطة السّياسيّة باسم الدّين، وهذا يختلف من دولة لأخرى حسب المذهب الشّائع فيها، إلا أنّ الوجهة واحدة وهو تبرير عمل السّلطة الحاكمة، والثّاني الخطاب الإصلاحي والمجتمعي العام، أو الخطاب الشّعبي والعفوي، وثالثا: الخطاب الثّنائي النّفعي، وهذا يهدف إلى التّغيير السّياسي، أو على الأقل قيام دولة إسلاميّة تحت ظلّ الخلافة أو الدّولة القطريّة، ولكن ليس

عن طريق العنف، أو الصّراع مع السّلطة، وإنّما عن طريق التّربية والتّعليم والأعمال الخيريّة والدّعوة المجتمعيّة، والرّابع: خطاب العنف والجهاد.

لهذا نجد الكتاب لا يلتفت إلى الخطاب الرّسمي أو الخطاب العام، وإنّما يتبنى الخطاب الرّابع ويدافع عنه، ويرد على الخطاب الثّالث، فهما من نفس المدرسة؛ لأنّ الغاية إقامة الخلافة الإسلاميّة، ولكن تختلف السّبل، فيرى الفريق الثّالث أنّ التّغيير يكون من القاعدة، ويرى الفريق الرّابع أنّ التّغيير يكون من الأعلى بإزالة رأس الهرم، لهذا يذكر فرج في مقدّمة الكتاب إنّ علماء الإسلام في العصر الحديث تجاهلوا الجهاد في سبيل الله، رغم علمهم أنّه الطريق الوحيد لإعادة ورفع صرح الإسلام؛ لأنّ طواغيت الأرض لن تزول إلا بقوّة السّيف حسب رأيه.

ولهذا لتحقيق الأمر أثبت كفر الدّولة، وأنّها أظهرت كفرا بواحا بموالاة الكفار، وعدم تطبيق شرع الله مستندا لقول ابن تيمية في الفتاوى: 524/28: "ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين، وباتّفاق جميع المسلمين، أنّ من سوّغ اتّباع غير دين الإسلام، أو اتّباع شريعة غير شريعة محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – فهو كافر...".

لهذا يستدل المؤلف على كفر الدّولة المصرية – وإن لم يذكرها بالاسم – أو ما شابهها من الدّول العربيّة لثلاثة أسباب: الأول: تعلو فيها أحكام الكفر أي تعطيل الشّريعة واستبدالها بالقوانين الغربيّة، والثّاني: ذهاب الأمان للمسلمين، إشارة إلى الاستبداد ضدّ الإسلاميين والتّضييق على أنشطتهم، والثّالث: المتاخمة أو المجاورة أي مع الكفار، لهذا يخلص فرج أنّ حكّام العصر كفار مرتدون وعقوبتهم أشدّ، ويستند إلى نصوص ظاهريّة من القرآن مثلا: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة/ 44]، وبعض الرّوايات كرواية: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة"، وقاس الوضع في البلاد العربيّة ببلدة ماردين في العراق، فاصلا بين طائفتين في المجتمع: الأولى الحكام الحاليين مثل التّتار يقاتلون بكفرهم فهم سواء، والثّانية المجتمع أو الشّعب،

وهم على قسمين: الأول الموالي للحكومة فيعامل معاملة الكافر، والباقي يعامل معاملة المؤمن قياسا على فتوى ابن تيميّة في أهل ماردين: "كونها مركبة من دار حرب وسلم، يعامل المسلم بما يستحقه وكذا الكافر"، لهذا يرى فرج أنّ إعانة الدّول الّتي لا تحكم بالشّريعة حرام، وأموالهم مستباحة بعد التّخميس، وقتالهم واجب، ولا تجوز موالاتهم، لهذا فهو يكفّر الحكومة ومن يواليها ويناصرها، ويعتبر الدّولة دار حرب لهذا الفريق دون عامّة النّاس، ودماؤهم وأموالهم مستباحة.

وبعد تقرير هذه القاعدة يبدأ بالرّد على الفريق الثّالث، الّذين يرون التّغيير يكون عن طريق القاعدة، حيث يرى أنّ الجمعيات الخيريّة لا تقيم دولة، والعمل في المناصب يقوّي الحاكم الظّالم، ودعوى الدّعوة إلى الله دعوى فاشلة، وحذّر من الاشتغال بالعلم وترك الجهاد.

وعليه يناقش فرج قضايا متعلقة بالحال في هذه الدّول، فيناقش قضيّة الهجرة، فهي تكون من دار الخوف إلى دار الأمن، أو من دار الكفر إلى دار الإيمان، ولهذا القتال يكون في الدّاخل قبل الخارج، والإسلام انتشر بالسّيف أيضا بدليل آية السّيف، ومراتب الجهاد: قتال النّفس، قتال الشّيطان، قتال الكفار والمنافقين، فنحن مطالبون بإقامة الدّولة وليس علينا بالنّتائج، وعلينا البيعة على القتال والموت، وإن كان أسلوب القتال يختلف إلا أنّه لا يسقط، وعليه يجوز الكذب مع هؤلاء، والإغارة، وتبييت المشركين وقتل ذراريهم، والاستعانة بالمشرك، وجواز قطع الأشجار وحرقها، وإبعاد المثبط والفقيه المغرور عن المشاركة في الجيش.

ولست هنا بصدد مناقشة هذه القضايا، فقد ناقشت بعضها في كتابي "فقه التّطرف"، إلا أننا نحن هنا أمام تراث لم يخرج عنه فرج، ولم يستورد أفكارا من الخارج، فعلينا أن نخرج من المدرسة التّقليديّة أو الإصلاحيّة إلى المدرسة التّفكيكيّة، أو يكون لها حضورها في الحوزات والجامعات الدّينيّة على الأقل.

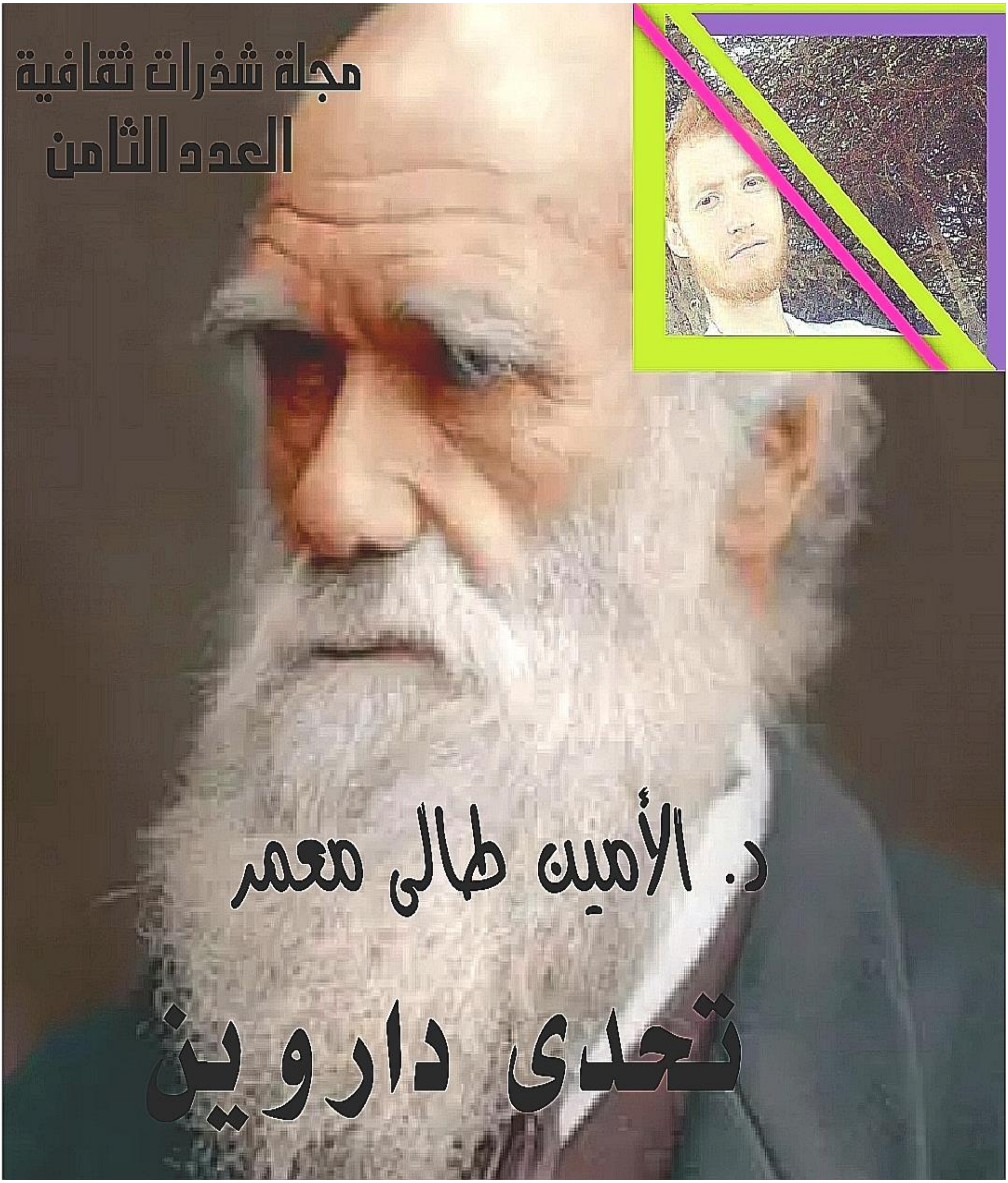
لهذا أرى التّالي أولا: نحن بحاجة إلى توليد نظريات جديدة في التّعامل مع النّص الدّيني الإسلامي وغيره، خصوصا في قضايا الأحكام فيما يتعلّق بالدّولة والنّظام العام، مثلا: هل الأصل في النّص الدّيني النّسبيّة أم الإطلاق، ومتى يكون التّراث والتّأريخ له رمزية القداسة ورمزيّة البشريّة وغيرها، مع حضور الأنسنة في قراءة النّص والتّراث حضورا تأويليّا على الأقل.

ثانيا: الانفتاح على النّظريات النّقديّة المعاصرة، وتشجيع الطّلاب في الحوزات والمراكز الدّينية على الانفتاح لها وتدريسها ونقدها، ليتولّد تدافع يخدم المجتمع.

ثالثا: مراجعة الخطابات العموميّة مراجعة نقديّة كدار الحرب ودار السّلم، ودار الإسلام ودار الكفر، ودستورنا القرآن، ونظريّة السّلف وغيرها.

رابعا: وجود مراكز إفتائيّة بحثيّة متجددة بعيدا عن نظريّة الشّخوص الملاصقة للجهات الرّسميّة تحت اسم المفتي أو غيره، وكذا الملاصقة للعقل الجمعيّ والشّعبي والتّقرب منه، بقدر ما تكون ملاصقة للمعرفة والبحث واستقلاليّة دراسة الواقع.

خامسا وأخيرا: السّجن والتّعذيب ليس هو الحل ما لم يخرج عن دائرة الفكرة، فالعنف لا يواجه بالعنف، وإنّما بالتّدافع الطّبيعي، فمشكلة الحكومات العربيّة تمسك من الطّرف لا من الوسط، وتتكئ على فئات تحمل ذات بذور التّطرف، إلا أنّ هؤلاء أصدق في بيان وجهتم، وأخلص في نظرتهم، ويرون بذلك القرب من ربّهم، وتقديس ماضويّتهم، وأنّها هي الرّمز الخالد لهم، فمثل هذا يقابل بالتّدافع الطّبيعيّ، لا بالعنف المضادّ؛ لأنّ ضرره أكبر، وشرّه أجل.


مجلة شذرات ثقافية
العدد الثامن
د. الأمين طالى معمر
تحدى داروين

تحدي داروين

"لو كان هناك نظام معقد بدرجة كافية بحيث يستحيل أن يتطور عبر تراكم تغيرات صغيرة ومتعددة، فإن نظريتي ستنهار بالكامل" هكذا وضع داروين تحديه للعالم في أواخر كتابه "أصل الأنواع", ثم أجاب نفسه "لكنني لا أستطيع أن أجد أي مثال علي نظام كهذا" وأعلن انتصاره وانتصار نظريته في وقت كانت الخلية "صندوقا أسودا" وكان يُظَن أنها عبارة عن هلام يتشكل تلقائيا في البرك الحامية!

لكن هل تم قبول هذا التحدي بعد صدور كتابه؟ وهل هذا التحدي لايزال قائما؟ لكي نجيب علي هذه الأسئلة سوف نحاول مع بعض تخيل نظام يستعصي على التطور شرحه!! نظام يُلبى مواصفات داروين تماما.

سأناقش نظام "بسيط جدا" نسبيا، اخترته بسيطا جدا حتى نرى فقط كلمة "بسيط" ماذا تعني في البيولوجيا الجزيئية التي كانت "صندوقا أسودا" لداروين و مناصيره آنذاك.

هذا النظام عبارة عن سُم تفرزه أحد أنواع البكتيريا الممرضة للإنسان المسماة بال "كلوستريديوم ديفيسيل" **Clostridium difficile** [1] و التي تتسبب له بإسهال شديد.

لنتعمق معا في كيفية عمل هذا السم و لنسأل أنفسنا في نفس الوقت، هل يلبي هذا طلب داروين؟ وهل يستعصي هذا على التطور والتطورين وخيالهم الخصب؟!

هذا السم عبارة عن بروتين واحد عملاق مكون من أكثر من 2300 حمض أميني. هذا البروتين يأتي بإصدارين في بكتيريا "ك. ديفيسيل". أحدهما مشفر بجين إسمه TcdA وطوله حوالي 2700 حمض آميني والآخر مشفر بجين مسمى TcdB وطوله حوالي 2300 حمض آميني. [2]

هذه البروتينات العملاقة مقسمة إلى أربع قطع مترابطة فيما بينها بدقة. الجزء السام يتمثل في إحدى هذه القطع الأربعة و هو عبارة عن أنزيم يهاجم بروتينات معينة في الخلية الهدف مما يؤدي إلي انهيار هيكل الخلية وموتها. جزء آخر من هذا البروتين مسؤول عن التثبت على الخلية الهدف، جزء آخر وظيفته نقل الجزء السام إلى داخل الخلية الهدف عبر الغشاء الخلوي بعد تثبت البروتين العملاق عليها بالإستعان بالجزء المخصص لذلك, و آخيرا جزء هدفه هو تسريح الجزء السام عن باقي الأجزاء بعد عبوره غشاء الخلية و ليس قبل ذلك و هذا عبر عملية قطع ذاتي للبروتين (أي البروتين يقطع جزء من نفسه) أي هو جزء بوظيفة أنزيمية.[2]

كل الخطوات المذكورة فوق و كل القطع الداخلة في تحقيق هذه الخطوات بكل التفاصيل المذكورة و الغير مذكورة، لا معنى لها إلا إذا تم إيصال السم إلى هدفه, أي إلى داخل الخلية الهدف، كل هذه القطع موجودة فقط لتحقيق هدف واحد مشترك، تسميم الخلية الهدف عبر ايصال أنزيم له هدف خاص موجود داخلها.

لا معنى لأي قطعة وحدها، لا معنى لأي خطوة وحدها, لا معنى لإفراز الجزء المسؤول عن التثبت على الهدف بدون باقي القطع فهذا سيعتبر مجرد هدر لمواد و موارد الخلية بلا فائدة!

لا معنى للجزء الذي ينقل باقي الاجزاء الي داخل الخلية عبر الغشاء إن لم تكن هناك أجزاء اخرى لينقلها أصلا!!

لا معنى للسم الذي يهاجم أهدافاً دقيقة موجودة فقط داخل الخلايا الهدف إن لم يتم ايصاله الى مكان عمله!

لا معنى لأي جزء الا في وجود كل الأجزاء الاخرى! هذا مثال بسيط جدا على نظام غير قابل للاختزال ربما أنك لم تسمع به من قبل, وكن متيقنا أن هذا النظام بسيط جدا مقارنة بأنظمة أخرى وكن متيقنا أيضا أن هناك الكثير من الأنظمة الأخرى التي لم تسمع عنها أو لم تُكتشف بعد!

مجرد ذكر مصطلح "تعقيد الغير قابل للاختزال" يجعل التطوريين يتحولون آليا إلى الأرشيف ويخرجون مغالطاتهم القديمة حول هذه الحجة، لكن معظمهم سيقع في مغالطة "القدم" ويقول هذه حجة قديمة وقد تم دحضها و يغلق الباب.

إختياري لهذا المثال كان لسبب وجيه، فمعرفتي بردود التطوريين على حجة "التعقيد الغير قابل للاختزال" دفعني لإختيار مثال له خاصية أنه يستعصي بطريقة واضحة وسهلة الفهم علي أشهر هذه الردود (كل الأنظمة الغير قابلة للاختزال تستعصي علي هذه الردود لكن هذا المثال واضح لبساطة النظام فبعض الانظمة الأخرى المعقدة تحتاج توضيحات كثيرة ليتبين سبب تفاهة ردودهم).

أشهر ردود التطوريين كان "الطرق الملتوية أو ال Co- option"، أي أن الأنظمة المعقد بطريقة غير قابل للاختزال تتطور عبر اقتراض قطع كانت تعمل في أنظمة أخرى في الخلية لها و ظائف لا علاقة لها بوظيفة هذا النظام الحالية. هذا الرد قمت بدحضه من قبل والكثيرون دحضوه أيضا (انظر في المراجع). لكن في مثالنا هذا سيتبين سبب سخف هذا الرد بوضوح (إن شاء الله).

المثال الذي ضربناه هنا هو عبارة عن نظام يعمل خارج الخلية البكتيرية, أي أنه يحتاج لأن يتم إفرازه, و هذا بحد ذاته خطوة مهمة! الآن لنتخيل أن كل القطع المكونة لهذا النظام باستثناء الجزء السام كان لها وظائف ما قبل ظهور هذا النظام, هذه الوظائف لا علاقة لها بالوظائف الحالية لهذه القطع و كانت هذه الوظائف خارج الخلية, هكذا يتخيل التطوري أول الخطوات, الوجود المسبق للإفراز و وظائف أخرى مختلفة للقطع (لا دليل علي هذا فنحن نفترض جدلا فقط).

حتى بقبول هذا فإن خصائص الجزء السام تجعل من الصعب جدا جدا(إن لم أقل من المستحيل تطوريا) تخيل طريقة لتطوره، مثلا لنسلم أن آلية إيصال الجزء السام إلى هدفه قد تطورت صدفة، تبقى حقيقة أن الجزء السام له هدف خاص جدا داخل الخلية المستهدفة, لكي يصل الي هناك يجب أن يظهر أولا أي يجب أن يتطور من شي ما كان له وظيفة أخرى ثم أصبحت له وظيفة السم! لكن كيف يتطور الجزء السام (في مثالنا أنزيم) تدريجيا و هدفه ليس في الخلية التي تنتجه أصلا؟ أهداف و لا توجد أصلا في البكتيريا (**Eukaryotes**هذا الإنزيم هي بروتينات خاصة بحقيقات النواة (عموما و التي تمتلك هذا النوع من السموم خاصة [(2)(3)]. أصلا مفهوم السم يستلزم عدم وجود أهدافه داخل الخلايا التي تنتجه أو عدم وجود أي إحتكاك بينه و بين أهدافه إن وجدت داخل الخلية المنتجة و إلا سممت هذه الخلايا نفسها بنفسها مما يجعل طريقة تطور السموم معضلة عامة و ليست خاصة بمثالنا.

لنعد إلى إفتراضنا فوق حول ظهور آلية إيصاله داخل الخلية الهدف صدفة، هذه الآلية لا معنى لها إلا اذا وجد السم الذي يجب أن توصله أولا!! من أتى أولا؟ الحل الوحيد هو أن الجزء السام و آلية أيصاله ظهرا دفعة واحدة!

الآن لنفترض جدلا ظهور الجزء السام صدفة (أمر مستحيل الحدوث عمليا بدون انتقاء طبيعي حتى في نظر التطوريين على كل حال)، هذا الأمر سيوجب حدوث عدة خطوات آنيا و في نفس الوقت،

فلا معنى للسم أبدا بدون وجود آلية إيصاله. بتعبير مجازي، التطور لن يرى السم أبدا لأنه بلا وظيفة.

لكي تتطور آلية إيصال هذا السم يجب علي العديد من الأمور إن تحدث في نفس الوقت:

اولا، يجب على جين الجزء السام أن يرتبط بجينات الأجزاء الأخرى وتكوين جين واحد كبير يتم إفرازه! لكن القطع الأخرى للنظام حاليا تقوم بوظائف مختلفة تمام عن الوظائف التي يجب أن تقوم بها لتشكيل الية ايصال فعالة.

ثانيا، يجب الآن على القطع الثلاثة الأخرى أن تغير من وظائفها آنيا و بدقة!

فالقطعة المسؤولة عن التثبت يجب أن تظهر عبر تغير وظيفتها القديمة و أن تكون لها الخصائص اللازمة (أن تتثبت على الهدف الصحيح).

القطعة المسؤولة عن نقل السم عبر الغشاء يجب أن تظهر و تتحول من وظيفتها القديمة إلى وظيفتها الجديدة و المختلفة عبر إكتسابها للخصائص اللازمة لذلك.

القطعة المسؤولة عن فصل السم عن باقي القطع ليست أساسية لعمل السم في المختبر لكن غيابها يجعل السم أضعف بكثير (10 الى 100 مرة أضعف) (٣)على فرض أنها لم تكن في السم من البداية، فإن عملية إضافتها يجب أن تكون دقيقة جدا! يجب أن تظهر هذه القطعة من وظيفتها القديمة و بالخصائص اللازمة أي أنها يجب أن تضاف ألي السم في المكان الصحيح، يجل أن تقطع السم في المكان الصحيح والوقت الصحيح و إلا فقد السم سميته! (4). اذا على الرغم من أنها ايست خطوة أساسية في عمل السم إلا أنها خطوة صعبة و معقدة وجب حدوثها لتفسير السم علي شكله المشاهد.

ثالثا، كل هذا يجب أن يكون مفيدا للبكتيريا التي ظهر فيها هذا السم، أي يجب إن يكون تسميم الهدف عمليا و مفيدا و إلا فلا معنى لوجود هذا السم و لن يراه التطور!

كل خطوة من هذه الخطوات في حد ذاتها معقدة تحتاج الي الكثير من التغيرات المنسقة! لكن نحن نحتاج للعديد من الخطوات لتحدث في آن واحد!

لنعد إلى إفتراضنا فوق حول ظهور آلية إيصاله داخل الخلية الهدف صدفة، هذه الآلية لا معنى لها إلا اذا وجد السم الذي يجب أن توصله أولا!! من أتى أولا؟ الحل الوحيد هو أن الجزء السام و آلية أيصاله ظهرا دفعة واحدة!

الآن لنفترض جدلا ظهور الجزء السام صدفة (أمر مستحيل الحدوث عمليا بدون انتقاء طبيعي حتى في نظر التطوريين على كل حال)، هذا الأمر سيوجب حدوث عدة خطوات آنيا و في نفس الوقت، فلا معنى للسم أبدا بدون وجود آلية إيصاله. بتعبير مجازي، التطور لن يرى السم أبدا لأنه بلا وظيفة.

لكي تتطور آلية إيصال هذا السم يجب علي العديد من الأمور إن تحدث في نفس الوقت:

اولا، يجب على جين الجزء السام أن يرتبط بجينات الأجزاء الأخرى وتكوين جين واحد كبير يتم إفرازه! لكن القطع الأخرى للنظام حاليا تقوم بوظائف مختلفة تمام عن الوظائف التي يجب أن تقوم بها لتشكيل الية ايصال فعالة.

ثانيا، يجب الآن على القطع الثلاثة الأخرى أن تغير من وظائفها آنيا و بدقة!

فالقطعة المسؤولة عن التثبت يجب أن تظهر عبر تغير وظيفتها القديمة و أن تكون لها الخصائص اللازمة (أن تتثبت على الهدف الصحيح).

القطعة المسؤولة عن نقل السم عبر الغشاء يجب أن تظهر و تتحول من وظيفتها القديمة إلى وظيفتها الجديدة و المختلفة عبر إكتسابها للخصائص اللازمة لذلك.

القطعة المسؤولة عن فصل السم عن باقي القطع ليست أساسية لعمل السم في المختبر لكن غيابها يجعل السم أضعف بكثير (10 الى 100 مرة أضعف) (4), على فرض أنها لم تكن في السم من البداية، فإن عملية إضافتها يجب أن تكون دقيقة جدا! يجب أن تظهر هذه القطعة من وظيفتها القديمة و بالخصائص اللازمة أي أنها يجب أن تضاف ألي السم في المكان الصحيح، يجل أن تقطع السم في المكان الصحيح والوقت الصحيح و إلا فقد السم سميته! (4). اذا على الرغم من أنها ايست خطوة أساسية في عمل السم إلا أنها خطوة صعبة و معقدة وجب حدوثها لتفسير السم علي شكله المشاهد.

ثالثا، كل هذا يجب أن يكون مفيدا للبكتيريا التي ظهر فيها هذا السم، أي يجب إن يكون تسميم الهدف عمليا و مفيدا و إلا فلا معنى لوجود هذا السم و لن يراه التطور!

كل خطوة من هذه الخطوات في حد ذاتها معقدة تحتاج الي الكثير من التغيرات المنسقة! لكن نحن نحتاج للعديد من الخطوات لتحدث في آن واحد!

الآن لنعد لتحدي داروين في البداية أين قال بأن "وجود نظام معقد بحيث انه لا يمكن أن يتشكل خطوة خطوة، سيهدم نظريتي". يبدوا أن نظامنا يستوفى الشروط التى خصصها داروين في تحديه! فلا معنى لأي خطوة من الخطوات فوق وحدها! لا معنى لأي من القطع وحدها بدون بقية القطع، منه نستنتج أن نظرية التطور قد هدمت!

لكن التطوريون لا يستسلمون، فبعض التطوريين يحب اللعب علي المصطلحات، فيقول لنا أن خصائص النظام الذي قدمناه لا تنفي "إمكانية" تطوره تدريجيا، أي أنه توجد إحتمالية لتطور النظام خطوة خطوة!

الاشكال يكمن في معنى كلمة "مستحيل أو غير ممكن" التي قصدها داروين! فداروين لم يكن يقصد المستحيل الأنطولوجي أي "وجود تناقض في شي ما" ولم يكن يقصد المستحيل الفيزيائي "أي خرق لقانون ما".

داروين كان يقصد "المستحيل العَمَلي"! فمنطقيا يمكنك أن تتخيل طريقة لتطوير أي شي تدريجيا عبر تخيل سلسلة من الخطوات الغير محتملة والخاصة جدا!! لكن لو قبلنا بهذا، فإننا نستطيع أن نتخيل أيضا التطور بدون إنتخاب طبيعي أصلا! فهذا ليس"مستحيل أنطولوجيا أو فيزيائيا" بل "مستحيل عَمِلِيًا" فقط!!

أصلا، لو كنا سنعتمد على تتابع حدوث الأمور الغير محتملة والإستثنائية، فلماذا لا نقول فقط كل التغيرات اللازمة حدثت آنيا دفعة واحدة! أو لماذا يجب أن نلجأ إلى القول بأن هذه القطع تم اقتراضها من قطع أخرى؟ لماذا لا نقول ببساطة "تكونت كلها دفعة واحدة"!! فإذا كان حدوث سلسلة أحداث إستثنائية و غير محتملة صدفة أمر مقبول و يعتبر تفسيرا عقلاني! إذا لماذا لا نقول

أن كل الحياة ظهرت بصدفة دفعة واحدة و نقبله على أنه تفسير عقلاني؟ لماذا هذا الأمر غير مقبول؟ فما الفرق بين الصدفة و الصدفة؟

يبدوا أن الفرق الوحيد بين الأمرين هو درجة وضوح سخافة و عدم عقلانية سيناريو الظهور المباشر بالنسبة لسيناريو التدرج للمتأمل في المسألة، لانه من السهل جدا الإنزلاق نحو الخيال الجامح و التفكير الضبابي أثناء التأمل في سيناريو التدرج و الإغترار بأفكار مثل توفر ملايين السنين لحدوث التطور و وجود عدد كبير من الكائنات تحت إمرته، هذا بالإضافة إلي التفكير الغائي المستفحل بين التطوريين بالرغم من أنكارهم لذلك حيث تجدهم يقدمون سيناريوهات خيالية و ضبابية و غائية أيضا أين يقترحون خطوات لا فائدة منها أو غير منطقية فقط لكي يفسروا كيفية ظهور نظام ما.

لا يوجد مرجع واحد أو سبب منطقي واحد يمنعنا من القول بأن الحياة ظهرت دفعة واحدة و بصدفة سعيدة ، فلو قبلنا بالتفسيرات المبنية على التسلسلات الاستثنائية و الغير محتملة للخطوات كما يتطلبه الأمر لتفسير التعقيد الغير قابل للاختزال تطوريا فلا يوجد سبب يمنعنا من القول بأن التطور لا يحتاج إنتخاب طبيعي أو أن الحياة ظهرت دفعة واحدة صدفة فقط! فهي في النهاية كلها مجرد أحداث إستثنائية و لا يوجد أي سبب يقيدنا للقول بأن هذا "مسموح به" و نقبله كتفسير عقلاني و هذا "ممنوع" لا نقبله كتفسير عقلاني!

إذا القول أن داروين لم يقصد "المستحيل" بمعناه "العمَلي" إي "المستحيل العمَلي" إدعاء لا معنى له، فهو سيفرغ تحدى داروين من كل محتواه المنطقي والعِلمِي! فهذا الإدعاء سيجعل من نظرية داروين تفسر كل نظام ممكن أن يوجد!! بل هذ الإدعاء سيفتح ابواب جهنم علي كل نظرية التطور ويجعلها ليست أفضل من القول "كل هذا جاء صدفة فقط" و الصدفة ليست تفسيرا البتة!!

هذا ليس هدف داروين من طرحه لنظريته ولتحديه للعالم!

ـــ

إعداد: د. طالي معمر محمد الأمين.

مصادر:

(1) -

https://cmr.asm.org/content/18/2/247.long

(2) -

https://www.annualreviews.org/doi/abs/10.1146/annurev-micro-090816-093458

(3) -

https://rupress.org/jcb/article/196/2/189/36705/The-Ras-protein-superfamily-Evolutionary-tree-and

(4) -

https://academic.oup.com/femspd/article/67/1/11/2367289

للإستطلاع أكثر :

ردود علي منتقدي التعقيد الغير قابل للاختزال

بعض ردود مايكل بيهي.

https://link.springer.com/article/10.1023/A:1012268700496

ردود شخصية.

1 – ردة فعل التطوريين من الحجة

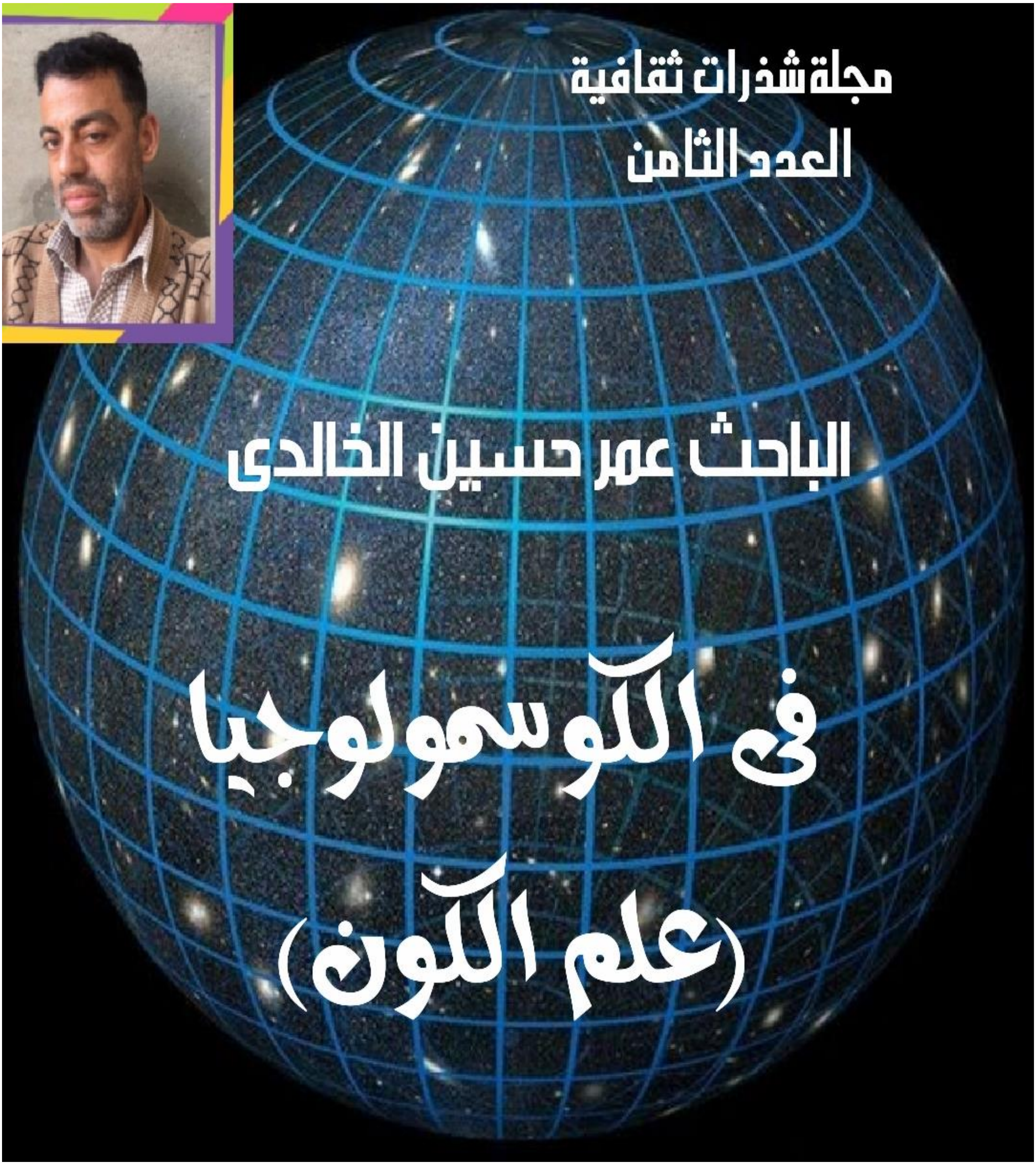
https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=569399760237876&id=388733271637860

2 – من يقرض من ؟

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=571632546681264&id=388733271637860

3 – من سلف من؟

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=573134983197687&id=388733271637860


مجلة شذرات ثقافية
العدد الثامن
الباحث عمر حسين الخالدى
فى الكوسمولوجيا
(علم الكون)

في الكوسمولوجيا (علم الكون) (*)

خلال السنوات الثلاثين الأخيرة تغيرت فكرتنا عن الكون بشكل كبير، وعلى الرغم من بلوغ النموذج المعياري عن الكوسمولوجيا درجة كبيرة وغير مسبوقة من الدقة، فإن أسئلة عديدة، وأحيانا أساسية . لا تزال من دون إجابة عنها.

لقد تم بناء النموذج الحالي عن الانفجار الأعظم خلال مرحلتين تفصل بينهما فترة سبات طويلة انتهت تقريبا قبل حوالي ثلاثين سنة. أما الكوسمولوجيا بالذات فقد ولدت في العقود الأولى من القرن العشرين بعد إعلان <آينشتاين> نظريته الجديدة عن التثاقل [1] . أي النسبية العامة [2] التي يمكن من خلالها معاملة الكون برمته ككائن فيزيائي. وخلافا لميكانيك نيوتن، الذي يعامل الكون كمجموعة أجسام مادية تتحرك ضمن إطار ثابت . المكان والزمان المطلقين

مرتبطة **space–time**. فإن النسبية العامة تؤكد على أن الخصائص الهندسية للزمكان [3] بكميةالمادة والطاقة التي يحويها. وهذه الخصائص الهندسية للزمكان تقرر بدورها كيفية حركة الأجسام المادية الموجودة فيه، لتعود هذه الحركة فتؤثر في هندسة الزمكان [4] ، وهكذا دواليك.

في بداية عشرينات القرن العشرين طرح <فريدودولوميترے فرضية عن التوزيع العام المحتوى الكون كانت تمثل أبسط ما يمكن افتراضه، وهي أن الكون في مقاييسه الكبيرة

متجانس ومتناظر كرويا، وهذا يعني أن له الخواص نفسها في جميع الأماكن وبغض النظر عن الاتجاه الذي نراقبه فيه. ندعو هذه الفرضية ب «المبدأ الكوني» [5]. وضمن شروط المبدأ الكوني نجح فريدمان > ولوميتر في الحصول على حل مضبوط [6] المعادلات آينشتاين >] ولكنه

كان حلا يصف كونا في حالة تمدد واتساع وليس كونا ثابتا

لنكن أكثر دقة هنا؛ فالحل المذكور أعلاه لا يصف كونا موجودا ضمن فضاء خاو يسبقه إلى الوجود، بل ببساطة كونا يتصف بأن كل نقطة فيه ترى جميع النقاط الأخرى تبتعد عنها بسرعة تزداد مع ازدياد المسافة الفاصلة بينها. وتكمن طريقة أخرى لوصف الوضع بالقول إننا لو قسنا المسافات الفاصلة بين الأجسام – أي بين المجرات التي تملا الكون اليوم، ثم عدنا وأجرينا عملية القياس نفسها بعد بليون سنة، لوجدنا أن المسافات جميعها قد ضربت بعامل واحد: عامل

المقياس.

النموذج الأول (**)

التي كانت لم يجز نموذج الكون المتمدد والمتوسع هذا على رضا ومحبة آينشتاين > مما دفعه إلى إدخال ثابت جديد – سمي بالثابت الكوني [7] – في معادلاته، وقد تمكن بفضل ذلك الثابت من الحصول على حل المعادلاته يصف فضاء ساكنا، أي إنه عاد إلى صورة الكون الساكن غير المتغير

تعجبه. ولكن هل كان هذا الكون ساكنا فعلا؟ لنر: في الحقيقة كان الحل الذي حصل عليه غير مستقر البئة، إذ إنه مع وجود أي اضطراب . حتى لو كان طفيفا جدا – فإن الثابت الكوني سيسبب اتساع الكون بشكل هائل، حيث كان تمدده سيتسارع بشكل أسي. وسنرى لاحقا كيف استفاد علماء الكوسمولوجيا من هذا الأمر، لكن بانتظار ذلك، فإن الملاحظات الفلكية التي

هبل في عام 1929 . على الرغم من شكوك آينشتاين > .كانت ذات دلالات .Eأجراها< قاطعة: إن الكون في حالة تمدد واتساع. فجميع المجرات تنحو إلى الابتعاد عنا وفقا للقانون الذي the standardيتنبا به حل فريدمان–لوميتر والذي غدا منذ ذلك الحين «النموذج المعياري»

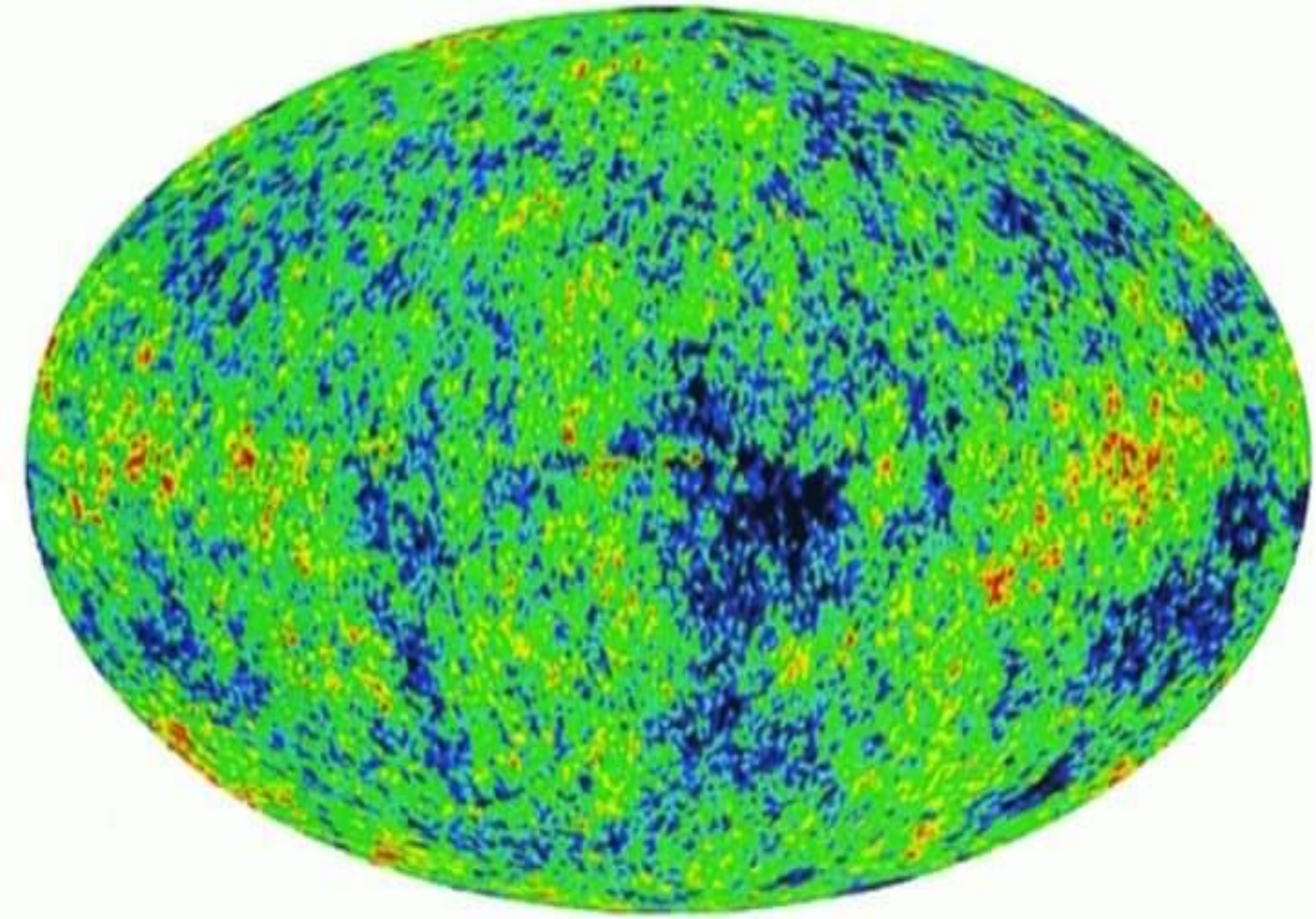
الأول للكوسمولوجيا. model

من الناحية الجوهرية، لم يطرأ أي تغيير على هذا النموذج حتى سبعينات القرن العشرين، ولنلخص الآن أهم مكوناته. إن الكون المتجانس والمتناظر كرويا في مقاييسه الكبيرة يزداد الساعة: عندما تقارن قيم المسافات الفاصلة بين نقاط الكون عند تاريخ معين بقيمها عند تاريخ آخر، فإنها تكون اليوم اصطلاحا الواحد، بينما كانت أصغر في الماضي aوتساوي .aمضروبة بعامل المقياس نفسه (ويعني ذلك أن قيم المسافات كانت أصغر من قيمها اليوم)، أما في المستقبل

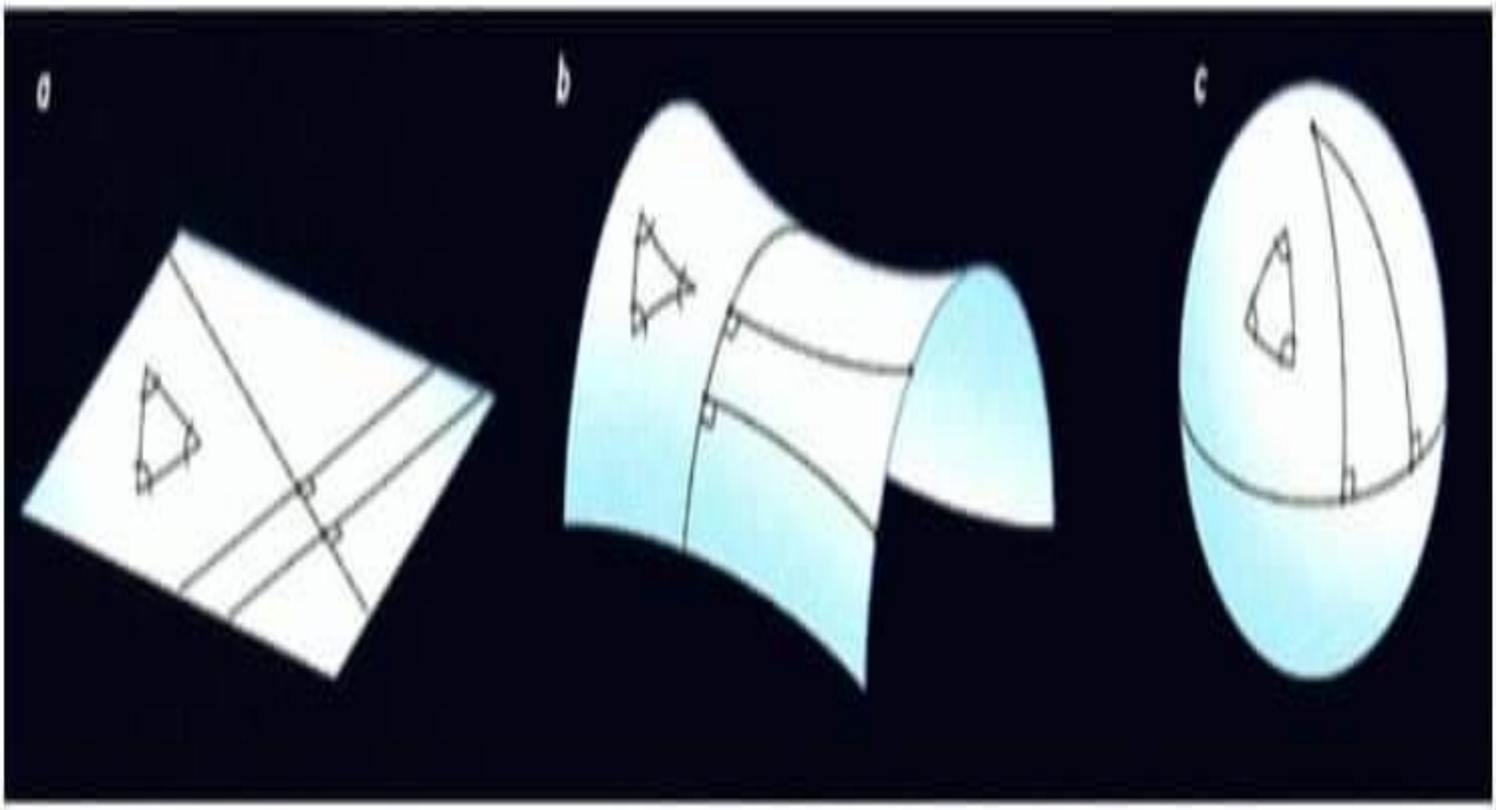
فسوف تكون أكبر من الواحد (ومن ثم ستغدو قيم المسافات أكبر من مقابلاتها الحالية). يعرف معدل التمدد

والاتساع النسبي اليوم – أي قيمة ميل المنحني الذي يعطيه كدالة (تابع) بدلالة الزمن – باسم حتى وإن تبين أن القيمة ، H0ويرمز له ب Hubble constantثابت هبل

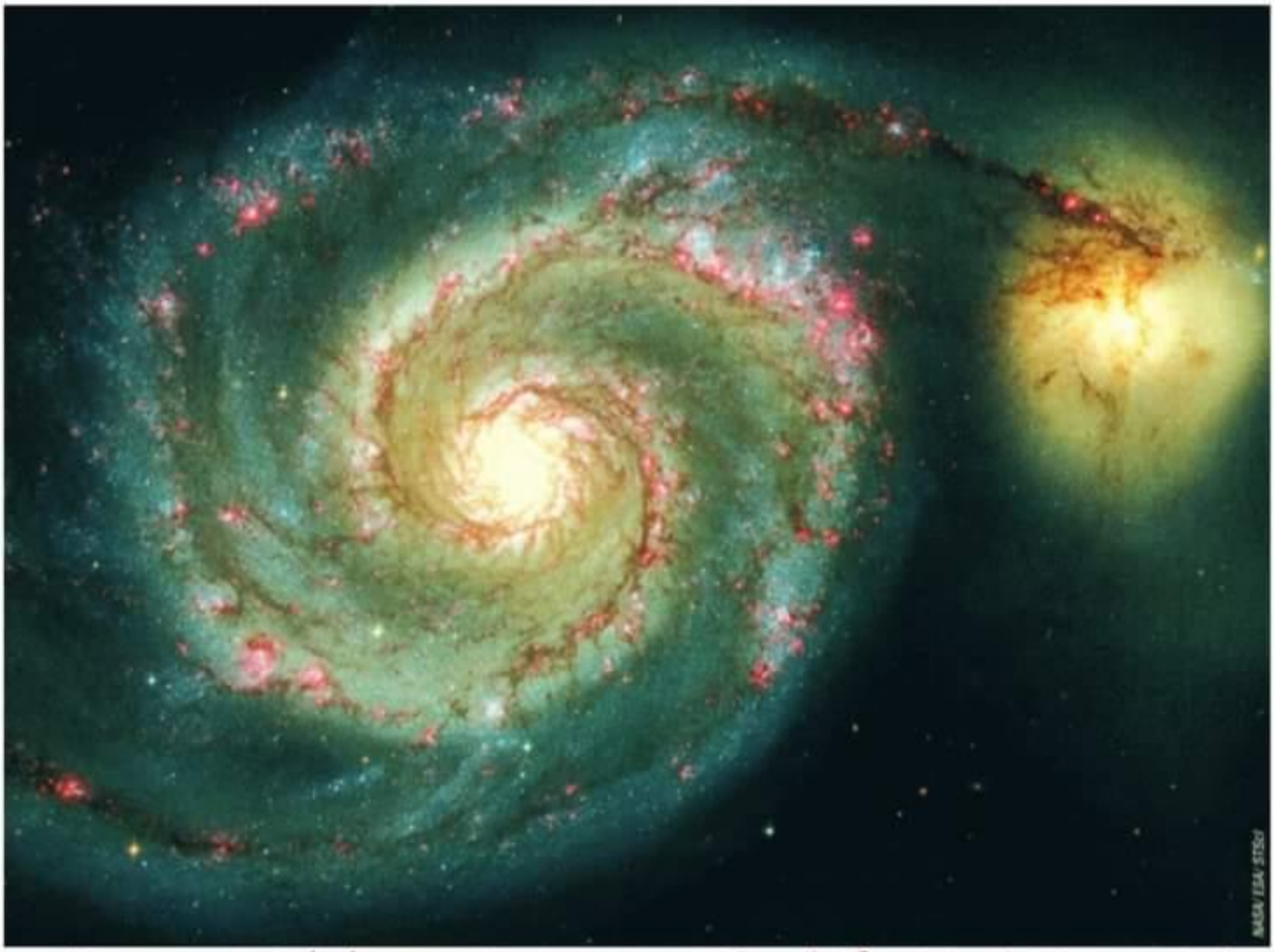
التقديرية المعطاة في الماضي للثابت بعيدة عن قيمتها المتعارف عليها اليوم، ويعود ذلك أساساإلى عدم توافر الأجهزة والأدوات المستخدمة حاليا في قياس المسافات حينئذ. ويجب كذلك أن نلاحظ أن هذا الثابت ليس ثابتا في الحقيقة: إن إيقاع تمدد الكون والساعه يتغير على مر الزمن في النموذج المعياري الأول يسبب تمدد الكون تباطؤ الساعة، لأن المجرات يتجاذب بعضها نحو بعض من خلال لا تتغير بشكل محسوس إلا ضمن Hالتثاقل). ومع ذلك سنقبل هذا التجاوز اللغوي، لأن قيمة فترات زمنية من رتبة عمر الكون.



الشكل 2: تُعتبر خريطة إشعاع الخلفية الأحفوري مصدرنا الأساسي للمعلومات عن تاريخ الكون. إنها تمثّل صورة للكون كما كان بعد نحو000 400 سنة من الانفجار الأعظم مملوءا بغاز كثيف وساخن (درجة حرارته نحو 3000 كلكن). نجد في الخريطة تراوحات طفيفة في الكثافة والحرارة (ممثلة في الشكل بالألوان). وهي في أصل البنى الكونية الكبيرة اليومَ (المجرّات وتجمّعاتها). ويحدّد التوزيع الصحيح لهذه التراوحات قيمَ الوسائط والبارامترات الكوسمولوجية في نظرياتنا بدقّة مماثلة لما نجده في المجالات الأخرى من الفيزياء. ونتيجة لذلك تجدنا نتحدث من الآن فصاعدا عن كوسمولوجيا دقيقة علميا.



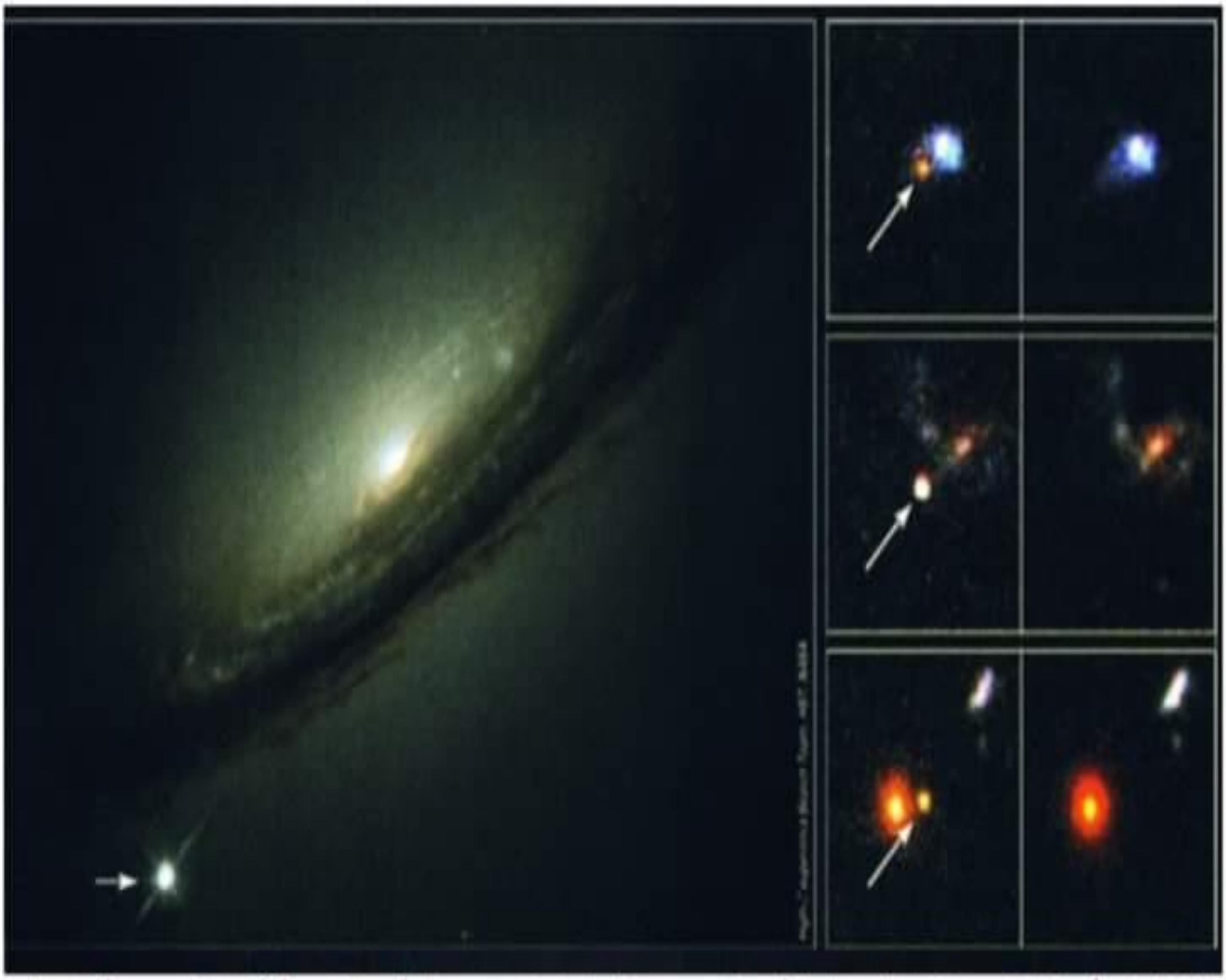
الشكل 3: تعتمد القواعد الهندسية التي تحكم شكل الرسوم التي نرسمها فوق سطح ما على تقعر هذا السطح. فإذا كان التقعر معدوما صحت قواعد الهندسة الإقليدية التقليدية وكان مجموع زوايا المثلث مساويا دائما لـ 180درجة (a). وإذا كان التقعر سالبا نقص مجموع زوايا المثلث من 180 درجة (b)؛ أما إذا كان التقعر موجبا (حالة الكرة) فيكون هذا المجموع أكبر من 180 وتعتمد قيمته على مساحة المثلث (c). وبالمثل، تتباعد المستقيمات المتوازية في حالة كون السطح زائديا hyperbolic، وتتقارب في حالة كون السطح كرويا spherical.



الشكل 4: تدور المجرّات الحلزونية (مثل مجرّة NGC 5194) حول مراكزها. في أوائل السبعينات من القرن الماضي، تبيّن أنّ النجوم المحيطية في أطراف المجرّة تدور بشكل سريع جدا لا يتّفق مع قيمة كتلة المجرّة اللازمة لتماسكها معها، على الأقلّ مع تقدير القيمة الأخيرة انطلاقا من المادة المرئية الظاهرة على صور المجرّة. ومن أجل تفسير استقرار المجرّات الحلزونية لزم أن نفترض أنها تحتوي على مادة معتمة تزيد10 أضعاف مقدارَ المادة المرئية، وأنّ هذه المادة المعتّمة تتوزّع ضمن هالةٍ لها خصائص قابلة للتعيين بدقة.



الشكل 5: جرى حساب كيفية توزّع المادة المعتمة (اللون الأزرق) التي تغمر حشدًا لمجرّات 1E 0657-56 من خلال دراسة كيف يحرف هذا الحشد الأشعة الضوئية الصادرة عن نجوم تقع خلفه (يمثّل اللون الورديّ إصدار الأشعة السينية من قبل الغاز الحارّ). إنّ الحشد الكلي هو الذي نجم عن اصطدام جبهي بين حشدين أصغر حجما مؤلفين من مجرّات مع هالاتها من الغاز والمادة المعتمة. في الحقيقة، لا تصطدم المجرّات ببعضها، بل يجري اجتياز الحشدين، كما لو كانا أشباحا. ويبدو أنّ المادة المعتمة غير حسّاسة للتصادمات.



الشكل 6: تُزوّدنا السوبرنوكا البعيدة (الأسهم) ـ وهي انفجارات نجوم ساطعةٍ جدا لدرجة أنها تبقى مرئيةً حتى لو كانت على مسافات بعيدةً من رتبة أبعاد كوسمولوجية ـ بمعلومات عن تاريخ توسع الكون. إنّ ضوء المجرّات التي تحدث السوبرنوكا فيها ينزاح أكثر نحو الأحمر كلما ازدادت سرعة ابتعادها عنا. ويسمح لنا قياس السطوع الظاهري الأشدّ أو الأخفّ للانفجار ـ كما يبدو لنا من الأرض ـ بتقدير المسافة التي تفصله عنا. وحيث إنّ النظر إلى الأشياء الأبعد يعني نظرا إلى الأقدم في الماضي، فإننا بذلك نقدّر سرعة ابتعاد المجرّات عنّا في عصور مختلفة.

وهذا الكون لا يحتوي إلا على المادة والضوء وهما شكل من أشكال الطاقة، إذ إن الكتلة والطاقة متكافئتان من خلال المعادلة **E= mc2** . ويأتي الاختلاف بين المادة والضوء أساسا من الطريقة التي تعتمد بها كثافتاهما على حجم الكون، أي على عامل المقياس **photons**.

وتكون الكثافة من أجل غاز طبيعي متناسبة عكسيا مع الحجم، ومن ثم تتناقص مثل مكعب مقلوب عامل المقياس. أما من أجل الضوء، فإن الأمور أكثر تعقيدا بقليل، إذ يبقى عدد الفوتونات، وهي «جسيمات » الضوء. في واحدة الحجوم يتناقص مثل مكعب مقلوب عامل المقياس، ولكن كل فوتون يتميز بطول موجته الذي يزداد . مثله في ذلك مثل جميع المسافات في تمدد الكون والساعة. غير أن الميكانيك الكمومي يعلمنا أن طاقة الفوتون متناسبة عكسيا مع طول موجته، مما يقتضي تناقص الكثافة الطاقية لغاز من الفوتونات كمقلوب عامل المقياس مرفوعا إلى القوة الرابعة، وهذا يعني أن كثافتها الطاقية تتناقص بشكل أسرع من

مثيلتها في المادة الطبيعية. ومن الضروري أخذ العلاقة بين الكثافة الطاقية وبين الضغط بعين الاعتبار في قوانين التثاقل،

ومن ثم ضمن الإطار الكوسمولوجي أيضا. ولنذكر ببساطة . دون الدخول في التفاصيل .

عندما تتناقص الكثافة تتزايد قيمة الضغط. ومن أجل الإشعاع (وهو شكل الطاقة الذي «يتمدد ثلث الكثافة. أما من أجل المادة (التي تتمدد وتترقق بشكل أقل سرعة من الضوء)، فإنه يمكن إهمال ضغطها (وبسبب ذلك يستعمل المختصون في النظرية النسبية مصطلح «الغبار» لوصف «غاز المجرات» ذي الضغط الداخلي المهمل). لنذكر أخيرا أن الثابت الكوسمولوجي (الذي تخلى <آينشتاين عنه في نهاية الأمر) إنما يؤدي دور طاقة ملازمة للفضاء نفسه، لا تتمدد ولا تترقق مع اتساع الكون، ومن هنا أتت تسميته بالثابت. وعلى العكس من ذلك، تزداد قيمة «طاقة الخلاء» هذه كلما ازدادت كمية الخلاء في الكون! ومن أجل ذلك يكون ضغط طاقة الخلاء هذه سالبا

(مساويا في القيمة للكثافة الطاقية ولكن معاكسا لها في الإشارة)، فيكون أثره، ضمن إطار النسبية العامة، توليد قوة تثاقل تبدو تنافرية. وهذا هو سبب عدم الاستقرار الذي سبق ذكره.

لندع الآن جانبا الثابت الكوسمولوجي. إننا نجد أنه انطلاقا من هذين المكونين البسيطين .

الضوء والمادة – يمكن إعادة صياغة القسم الأكبر من تاريخ الكون. وتحقق الحدود العلياوالسفلى – التي نعتقد أن قيم الطاقة والضغط تتغير بينها – ما يدعوه الفيزيائيون ب«شروط الطاقة» المعقولة. وفي مثل هذه الأوضاع . وهي ما تتوافق مع الكون الاعتيادي – تكون قوة التثاقل دوما تجاذبية، مما يقتضي في كون فريدمان–لوميتر حتمية وجود لحظة في الماضي كانت عندها قيمة عامل المقياس معدومة. ويعني هذا أنه في تلك اللحظة كانت جميعموجودة في المكان واحد ! وكانت قيمة الكثافة الطاقية حينئذ لا متناهية في الكبر، ومن ثم كانت معادلات النسبية العامة غير قابلة للاستخدام. ندعو مثل هذا الوضع تفردا **singularity** ، وهي تعني أساسا أن النظرية تدلنا على اللحظة التي تتوقف فيها صلاحيتها عن العمل.

نقاط الكون

في الحقيقة لا يعتقد الفيزيائيون فعلا وجود لحظة من الماضي كان فيها حجم الكون معدوما الكبر. و يكون في حالة تمدد واتساع انطلاقا من حالة ابتدائية كان حجمه فيها صغيرا جدا، بينما كانت قيمتا كثافته الطاقية ودرجة حرارته بالغتي الكبر. وهذه الصورة اللافتة للنظر هي التي قادت الفلكي هويل . وهو من أشد المعارضين للنموذج المعياري للكوسمولوجيا المذكور أعلاه – .**F**البريطاني > إلى إطلاق تسمية تحقيرية

على النموذج هي «الانفجار الأعظم»... التي تم اعتمادها من قبل خصومه.

عبور الصحراء (***)

لا يمكن لبناء نظري – مهما بلغ جماله . أن يكون له مكان في حقل العلم ما لم يكن قادرا على التنبؤ بأمور دقيقة وقابلة للتحقق. ومن أجل هذا لم يثر نموذج الانفجار الأعظم – على

الرغم من ملاحظات هبل> الفلكية . حماسة شديدة في المجتمع العلمي، وتُركت الكوسمولوجيا لمدة 40G. سنة على حالها. وربما يكون الفيزيائي الأميركي > كامو هو الشخص الوحيد الذي حاول في عقد الثلاثينات أن يتوصل إلى تحقيق نتائج قابلة للملاحظة انطلاقا من النموذج، وذلك من خلال تطبيق مبادئ الفيزياء النووية عليه. وقد تمثلت فكرة حكامو . وهي لا تزال حتى الآن صحيحة تماما – بأنه إذا كان الكون اليوم في حالة اتساع فهذا يعني أنه كان أصغر في

الماضي. وكتحصيل الحاصل هذا ليس حقيقة بديهية كما يبدو، إذ إنه يعني أننا لو عدنا إلى الوراء في الزمن بمقدار كاف، فإن شروط الحرارة والكثافة التي كانت مخيمة في أرجاء الكون مماثلة لما نجده اليوم من شروط في قلب النجوم.

في ذاك العصر، يتعين على النوى الخفيفة مثل الهدروجين أن تخضع لعمليات اندماج ينجم عنها – كما هو الحال في النجوم – نوي ثقيلة: يدعي هذا بالتركيب النووي البدائي. إن واقع

تكوين الهدروجين للقسم الأعظمي من الكون الحالي لا يرجع إلى أن هذه الشروط لم تدم فترة

طويلة فحسب، بل كذلك لأن الفوتونات كانت متوافرة بمقدار يكفي لتحطيم النوى الثقيلة بشكل أسرع من معدل تكونها. وقد استنتج كامو من هذا الأمر أن تلك الفوتونات لا بد وأن تكون قد بقيت إلى الآن تغمر الكون برمته، وذلك على الرغم من أن طاقتها خفت بفعل تمدد الكون ولم تبق

على قيمها القديمة. وبالنتيجة توقع كامو أن يكون باستطاعتنا أسر مثل هذا الإشعاع في جميع

الاتجاهات في السماء، أو أنه هناك في جميع الأمكنة إشعاع كالمستحاثات تُقدر درجة حرارته ببضع درجات كلفن لا غير. لقد تم نسيان تلك النبوءة لغاية عام 1965 عندما اكتشف چمپينزياس ويلسون> زمن مختبرات بيل هذا الإشعاع بدرجة حرارة مساوية ل2.73 كلفن (الشكل 2 .R و>

). وفجأة أضحت الكوسمولوجيا علما قادرا على التنبؤ، وسمحت إعادة الاهتمام بها بالتأكد من سلسلة نبوءات أخرى. وبشكل خاص تم البرهان على توافق الحسابات النظرية مع الملاحظات الفلكية في أن الكون عند نهاية طور التركيب النووي البدائي – الموافق للدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون. كان يتكون كيميائيا من هدروجين بنسبة 75% وهليوم بنسبة تقارب ال 25%.

ثلاث صعوبات هزت النموذج (****)

عن the initial singularity وهكذا بدفعة واحدة – توقفت مسألة «التفرد البدئي» كونهامجرد عيب

رياضياتي في النموذج لا أهمية له، لتغدو لغزا حقيقيا. ونعتقد اليوم أنه في حالة الطاقات العالية جدا والحجوم الفائقة الصغر . من مرتبة ما يعرف بمقياس پلائك – تبطل تلقائيا

صلاحية النسبية العامة، لأن الآثار الكمومية التي لا تأخذها تلك النظرية بعين الاعتبار تصبح عند هذه المقاييس مهمة بحيث لا يمكن إهمالها. ولسوء الحظ، لا توجد لدينا نظرية كمومية للتثاقل قادرة على أن تحل محل النسبية العامة عند هذه المقاييس. لم يثر فشل < آينشتاين في إيجاد مثل

هذه النظرية الجهود لحل المشكلة في السنوات التالية لظهورها. ولكن الأمور الجديدة التي طرأت

على الكوسمولوجيا أسهمت في إعادة إطلاق جهد نظري يتابع اليوم.

وسرعان ما ظهرت نقطة عدم انسجام أخرى، كانت مقلقة في بعض مظاهرها أكثر من النقطة السابقة. إننا نعلم أن للكون بداية، إذ إنه ولد من خلال انفجار أعظم قبل حوالي ال15بليون سنة.

ومن ناحية أخرى، يتحرك الضوء بسرعة كبيرة (300000 كم في الثانية)، ولكن ليس بشكل آني. وهكذا، فنحن لا نرى الأجسام الفلكية كما هي «الآن»، بل كما كانت عند إصدارها للضوء: وكلما نظرنا إلى مناطق أبعد عدنا أكثر إلى الوراء في الماضي. ونتيجة لذلك لا يمكننا رؤية أي جسم

يبعد عنا أكثر من 45 بليون سنة ضوئية (وهي ما يوافق ال15 بليون سنة زمنية، بعد أن نأخذ بعين الاعتبار تمدد الكون واتساعه مع مرور الزمن، وذلك لأن الضوء الصادر عن النجم لم يتح له الوقت الكافي منذ ولادة الكون كي يصل إلينا. ويمثل هذا الحد الأفق الكوسمولوجي (الكوني)

وهو أفق يزداد ابتعادا في الزمن مع تقدم عمر الكون. ،the cosmologic horizon وبالفعل، يصبح الكون الفائق البعد – ومن ثم الموغل في القدم – بعيد المنال عن أجهزة

القياس عندنا قبل بلوغه الأفق الكوسمولوجي. ففي الواقع، عندما نوجه أنظارنا إلى مسافات بعيدة، فإنها تصطدم بالكون الشاب المملوء بالغاز الكثيف – الحار والمضيء – الذي وصفه كامو . ومثلما هي حال سطح الشمس، كان هذا الغاز عاتما تماما، مما يعوق رؤية أي شيء

يقع «خلفه» (أي «قبله»). وأعماق السماء مغطاة بصورة هذا الغاز الابتدائي المحترق، وهذه القوقعة الكروية – التي تدعى ب «سطح الانتثار الأخير» – هي ما يرسل إلينا الإشعاع الأحفوري الذي اكتشفه دپينزياس و ويلسون (لقد جرى مط هذا الإشعاع – الذي كان مرئيا في البداية

– بفعل تمدد الكون واتساعه، بحيث وصلنا اليوم على شكل أمواج ميكروية غير مرئية).

لندخل في اعتبارنا نقطتين في القبة السماوية تقعان مثلا عند قطبين متقابلين قطريا. عندما أصدرت هاتان النقطتان إشعاعيهما الأحفوريين، كانتا بعيدتين إحداهما عن الأخرى عدة عشرات الملايين من السنين الضوئية. وواقع الحال أنه في ذلك الزمن كان الأفق الكوسمولوجي (الكوني)

صغيرا جدا (من رتبة بضع مئات من آلاف السنين الضوئية)، لأن الكون كان في بداية شبابه. فكيف أمكن لهاتين النقطتين أن تتفقا على درجة الحرارة نفسها (2.73 كلكن) – باختلافات من رتبة واحد من 100000 . في حين لم يتح الوقت اللازم لأي إشارة فيزيائية للانتقال بينهما؟ لقد

كانت هذه صعوبة جديدة واجهت النموذج المعياري، وقد عرفت باسم مسألة الأفق.

ولم تنته الأمور عند هذا الحد، فقد وجد علماء الكوسمولوجيا أنفسهم – بعد مسألتي التفرد

الابتدائي والأفق – يواجهون مسألة عويصة ثالثة عرفت باسم مسألة الانبساط platitude .

ومن أجل فهم هذه المسألة لنتذكر أن الخصائص الهندسية لسطح ما تعتمد على تقوسه الذي يمكن القيمته أن تكون موجبة أو معدومة أو سالبة (انظر الشكل 3).

تؤكد النسبية العامة أن المكان الكوني يأخذ أحد هذه «الأشكال» الثلاثة وفقا لكثافته المادية والطاقية، فإذا كانت قيمتها مساوية القيمة معطاة حرجة، فإن المكان «مستويا» تصح فيه قواعد الهندسة الإقليدية التقليدية على جميع

المقاييس. أما إذا كانت قيمة كثافة المادة والطاقة أصغر من الكثافة الحرجة، فيكون تقعر المكان سالبا، في حين يصبح الأخير موجبا إذا فاقت الكثافة في الكون قيمة الكثافة الحرجة. وتبين المعادلات كذلك أنه في حالة توسع الكون، فإن انحراف الكثافة عن قيمة الكثافة الحرجة ولو قليلا سوف يجعلها تميل إلى الابتعاد أكثر عنها: أي إن أي اختلاف في البداية عن «الانبساط» سرعان ما يتضخم، وهذا الكلام صحيح على الأقل في حال احتواء الكون على المادة الطبيعية والضوء لا

غير. وواقع الأمر أن الملاحظات الفلكية تبين أن كوننا لايزال اليوم . وبعد مرور 15 بليون سنة من التمدد والاتساع الكونيين – «مستويا» من الوجهة العملية. إذن يقودنا ذلك إلى الافتراض الكيفي أن الكون كان في البدء في حال «انبساط» كامل غريب، وهذا على الرغم من غياب أي

ظاهر لذلك، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن كميتي المادة والإشعاع اللتين نلاحظهما اليوم في الكون غير كافيتين لبلوغ الكثافة الحرجة (وهذه نقطة سنعود إليها لاحقا).

مراجع للاستزادة

Lemaitre, Le Père du Big bongs, in Génies de la Science, n°30, février–avril 2007.

P. PETER et J-PH. UZAN, Cosmologie primordiale. Belin, 2005.

S. WEINBERG, Les trous pre miéres minutes de l'Univers, Seuil. 1978.

http://background. uchicago.edu/ffwhu/

(**)**Le premier modèle**

(***)**Une traversée du désert**

(****)**Trois difficultés qui ébranlèrent le modèle**

(*****) **Un nouvel ingrédient: l'inflation**

(******)**Une surprise de taille**

(*******)**Le nouveau modèle cosmologique**

(********)**La physique des particules au secours de la cosmologie**

gravitation (1)

general relativity (2)

(3) الزمكان: نحت من زمان–مكان.

(4) **the geometry of space–time**

(5) **the cosmological principle**

(6) **exact**

(7) **the cosmological constant**

(8) **Supernova Cosmology Project**

(9) **High–Z Supernova Search Team**

(10) **Lightest Supersymmetric Particle**

(11) العنصر الخامس هو الأثمن بين عناصر الطبيعة في فلسفة العصور القديمة والوسطى التي تعتبره متخللا لأرجاء الطبيعة،

ويشكل مادة الأجسام السماوية.

هذه ترجمة مقالة بعنوان:Le nouvel

&

وقد صدرت في عدد الشهر 2007/11 من مجلة lan de la cosmologie

Pour la science

بتصرف:حسين الخالدي



مجلة شذرات ثقافية

العدد الثامن

الباحث عمرو عرفة

الحق المبين فى الرد على القرآنيين

الحق المبين في الرد على القرآنيين

هل تعرف أخي الكريم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – تنبأ بأنه سيأتي قوم ينكرون سنته معقول ؟

نعم .

وأين هذا أخي ؟

روى أبو داود في سننه :عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا..............." .

وفى الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب وأنه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حجة بنفسه، وأما ما رواه بعضهم أنه قال إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه وإن خالفه فدعوه فإنه حديث باطل لا أصل له.(معالم السنن)

و قَالَ الْبَيْهَقِيّ: والْحَدِيث الَّذِي روى فِي عرض الحَدِيث على الْقُرْآن بَاطِل لَا يَصح، وَهُوَ ينعكس على نَفسه بِالْبُطْلَانِ، فَلَيْسَ فِي الْقُرْآن دلَالَة على عرض الحَدِيث على الْقُرْآن، انْتهى كَلَام الْبَيْهَقِيّ فِي الْمدْخل الصَّغِير.

وروى أحمد عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا أُلْفَيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ، وَنَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي، وَمَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ " .

وروى ابن بطة العكبري :" قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنَّكُمْ لَتُحَدِّثُونَنَا أَحَادِيثَ مَا نَجِدُ لَهَا أَصْلًا فِي الْقُرْآنِ قَالَ: فَغَضِبَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: «قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: " فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ثَلَاثًا، وَصَلَاةَ الْعِشَاءِ أَرْبَعًا، وَالْغَدَاةَ رَكْعَتَيْنِ، وَالْأُولَى أَرْبَعًا، وَالْعَصْرَ أَرْبَعًا؟ قَالَ: فَمِمَّنْ أَخَذْتُمْ هَذَا الشَّأْنَ؟ أَلَسْتُمْ عَنَّا أَخَذْتُمُوهُ؟ وَأَخَذْنَاهُ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنَّا أَخَذْتُمُوهُ؟ أَوْ عَنْ مَنْ أَخَذْتُمْ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمٌ؟ وَفِي كَذَا وَكَذَا شَاةٍ كَذَا وَكَذَا وَمِنْ كَذَا وَكَذَا بَعِيرٍ كَذَا وَكَذَا , أَوَجَدْتُمْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ لَا , قَالَ: فَعَمَّنْ أَخَذْتُمْ هَذَا؟ أَلَسْتُمْ عَنَّا أَخَذْتُمُوهُ؟ وَأَخَذْنَاهُ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذْتُمُوهُ عَنَّا؟ قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: 29] وَجَدْتُمْ طَوَّفُوا سَبْعًا، وَارْكَعُوا خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ؟ هَلْ وَجَدْتُمْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ عَمَّنْ أَخَذْتُمُوهُ أَلَسْتُمْ أَخَذْتُمُوهُ عَنَّا؟ وَأَخَذْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

قَالَ الشَّيْخُ ابن العكبري: " وَلْيَعْلَمِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ أَنَّ قَوْمًا يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الشَّرِيعَةِ وَدُرُوسَ آثَارِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ، فَهُمْ يُمَوِّهُونَ عَلَى مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ وَضَعُفَ قَلْبُهُ بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَهْرُبُونَ وَعَنْهُ يُدْبِرُونَ، وَلَهُ يُخَالِفُونَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا سُنَّةً رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهَا الْأَكَابِرُ عَنِ الْأَكَابِرِ وَنَقَلَهَا أَهْلُ الْعَدَالَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَمَنْ كَانَ مَوْضِعَ الْقُدْوَةِ وَالْأَمَانَةِ وَأَجْمَعَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ حَكَمَ فُقَهَاؤُهُمْ بِهَا، عَارَضُوا تِلْكَ السُّنَّةَ بِالْخِلَافِ عَلَيْهَا وَتَلَقَّوْهَا بِالرَّدِّ لَهَا، وَقَالُوا لِمَنْ رَوَاهَا عِنْدَهُمْ: تَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ وَهَلْ نَزَلَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ؟ وَأْتُونِي بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ حَتَّى أُصَدِّقَ بِهَذَا ....

ثم قال في الرد على هذا الذي يزعم ذلك

....إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ وَمَا نَهَاكَ عَنْهُ فَرْضٌ عَلَيْكَ قَبُولُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَقَبُولِ سُنَّتِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا ذَكَرَ

فَرَائِضَهُ وَأَوَامِرَهُ بِخِطَابٍ أَجْمَلَهُ، وَكَلَامٍ اخْتَصَرَهُ وَأَدْرَجَهُ، دَعَا خَلْقَهُ إِلَى فَرَائِضَ ذَكَرَ أَسْمَاءَهَا، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ بِأَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَعَانِيَهَا، وَيُوقِفَ الْأُمَّةَ عَلَى حُدُودِ شَرَائِعِهَا وَمَرَاتِبِهَا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44] فَرَبُّنَا تَعَالَى هُوَ الْمُنْزِلُ، وَنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُبَيِّنُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}

[البقرة: 43] ، وَقَالَ: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران: 97] وَقَالَ: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [البقرة: 196] ، وَقَالَ: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة: 183] . الإبانة لابن بطة رحمه .

وهذه كانت مقدمة مهمة أردت أن أوضح بها هذا الأمر

نرجع هل القرآن رد على المنكرين وألزمهم بالسنة؟

نعم ، في مواضع عدة من الكتاب الكريم .

ويستمر القرآن في دعوة منكري السنة

قال الله تعالى : "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ".

وقد صلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ستة عشر شهرا إلى بيت المقدس

فأين الأمر في القرآن بالتوجه الأول إلى بيت المقدس ؟

لا يوجد ، أمر مباشر في القرآن لكن أكيد هناك أمر ووحي آخر وهو السنة

يقول المنكر أن هذا اجتهاد شخصي ، من النبي – صل الله عليه وسلم –

فنرد عليه ونقول : أنه هذه عبادة ولو اجتهد فيه النبي صلى الله عليه فقد أقره الله عليها .

ويأتي استشكال نقول : كيف هو يحب أن يصلى شطر المسجد الحرام ، ثم نقول أن هذا أمر اجتهادي من النبي – صلى الله عليه وسلم – لو كان أمرا اجتهاديا لصلى ناحية ما يحبه كما قال الله تعالى : " فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا " يعني تحبها كما قال القرطبي رحمه الله تعالى .

فيرد علينا المنكر فيقول : النبي فعل ذلك يتألف أهل الكتاب مستدلين ببعض الروايات الضعيفة في هذا الأمر وهنا العجب العجاب.

نقول له من أين جئتم بهذا الكلام ، فالثابت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يخالف اليهود والنصارى .

فقد قال الله تعالى :"ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم " فكيف يتألفهم وهديه – صلى الله عليه وسلم – أنه يخالفهم ، وبل ويأمر بمخالفتهم.

فالقوم متناقضون ؟.

ويدعي هؤلاء كذبا وزورا اتباع كتاب الله تعالى ، ولو كان ما قالوه حقا للزمهم اتباع سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – لا التنفير منها .

ألم يقل الله تعالى : " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ".

قال القرطبي :" وأنزلنا إليك الذكر يعني القرآن .

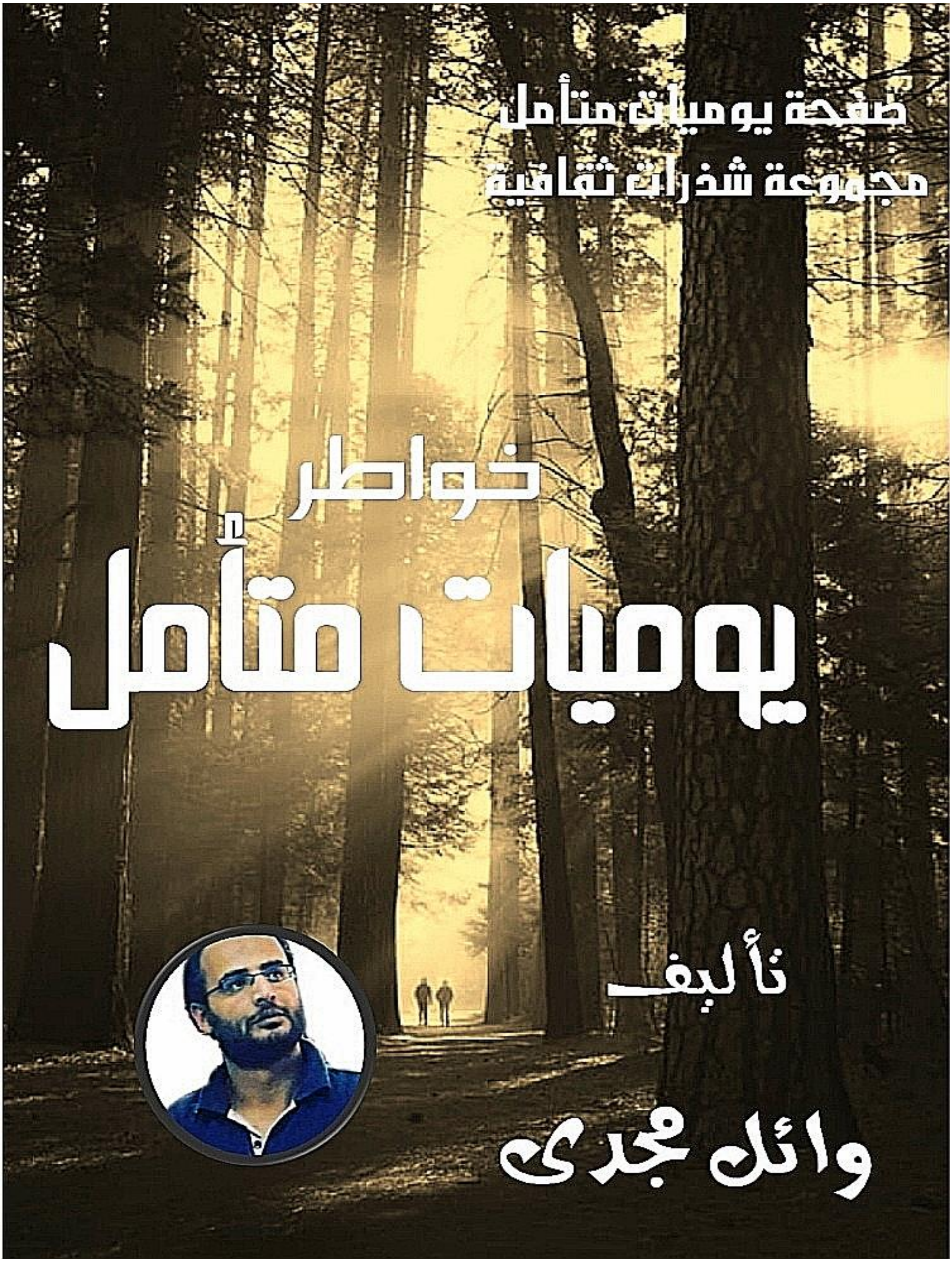
لتبين للناس ما نزل إليهم في هذا الكتاب من الأحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك ; فالرسول – صلى الله عليه وسلم – مبين عن الله – عز وجل – مراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة ، وغير ذلك مما لم يفصله ."تفسير القرطبي

وقال الحافظ ابن كثير :" قال تعالى { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ } يعني القرآن { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } أي من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل الله، وحرصك عليه، واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق، وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أشكل { وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } أي ينظرون لأنفسهم، فيهتدون، فيفوزون بالنجاة في الدارين."

يعني النبي صلى الله عليه وسلم– مبين للقرآن بكلامه الذي هو السنة والتي ينكرها هؤلاء ، وهي التي أمر الله نبيه أن يبين للناس ما أجمل في القرآن .

وإلى اللقاء في المقال القادم – إن شاء الله تعالى – ، فما زال الرد مستمر .


ملحق العدد الثامن
صفحة يوميات متأمل
مجموعة شذرات ثقافية
خواطر
يوميات متأمل
تأليف
وائل مجدى
مجلة شذرات
ثقافية


صفحة يوميات متأمل
مجموعة شذرات ثقافية
خواطر
يوميات متأمل
تأليف
وائل مجدى


((وائل غنيم والمنطقة
الرمادية))
بقلم/وائل مجدي

وائل غنيم والمنطقة الرمادية

▪ينشأ الإنسان وسط جماعة ، تكون غالباً هى الإطار الأول المحدد لكثير من معالم شخصيته ، يرتبط بقوانينها ، وينهل من ثقافتها ، وتكون هى نافذته الأولى على هذا العالم الفسيح ، ينتهى بصره إلى سقف معارفها ، ويتسع أفقه على مدى تجاربها وخبراتها التى علقت بأذهانها ، وتناقلتها الأجيال داخل إطارها ، لكنه ربما يشعر بعد حين ، أن هذا الإطار لم يعد مرناً بما يكفى لإشباع تطلعاته التى لا تنقطع ، واكتشافاته التى تتوالد عن خبرات جديدة ، وأبطال جدد لم يكن له بهم سابق عهد فى روايته التى تشربها ، وأصبح على علم بكل تفاصيلها ، ويدخل حالة من الشغف الذى يقوده إلى طرح كثير من الأسئلة ، وعرض كثير من الاستشكالات التى أصبحت تؤرقه ، ولا مفر له من إجابات يطمئن لها عقله ، ويسكن عندها قلبه ، ويبدو أنه هذه المرة قد أصبح على أهبة الإستعداد لإختراق هذا الإطار القاسى ، مهما كلفه الأمر ، حتى يجد الإجابات التى ربما تقبع على الجانب الآخر .

▪ولأن الإنسان مهما اختلفت توجهاته ، وتنوعت مشاربه ، يميل دائماً إلى إشباع روحه ، قدر حرصه على إشباع جسده ، ويفزع إلى قوة تشد أزره ، وتجبر إنكساره ، وتضئ منطقة مظلمة فى جنبات روحه ، وتدفعه إلى الإستمرار ، والتعامل مع المادة التى تحيطه من كل جانب ، وتجعله يصبر على الطاقات السلبية التى يصدرها له أبناء جنسه ، فليجأ إلى رب ، يعلم فى قرارة نفسه أنه لا يمكن أن داخل هذا الوجود المادى الفيزيقى الذى لا يخفى على حواسه المباشرة ، وإنما لابد أن يكون وراء هذا العالم ، لا تدركه أبصار ، ولا تحيط به أفهام ، هذا الإله الخالق الذى لم يخلق عبثاً ، ولم يتركه دون رسالة ترسم له منهج هداية وتوجيه ، فيقبل الإنسان على الدين بدافع فطرى ، ذلك الدين الذى لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يخالطه ريب ولا نقص، لأنه الكمال فى ذاته .

▪ هكذا شرع وائل غنيم مرحلة البناء بدءاً من الدين ، فالتحق الشاب ذو الخمسة عشر عاماً بصفوف الإخوان المسلمين ، تجره عاطفته الدينية ، مفعم بحماس الشباب ، وربما هذه الفئة العمرية

التى تفضلها جماعة الإخوان المسلمين ، وتكون وقوداً لأفكار الجماعة التى تبثها فى أذهان هؤلاء الشباب ، والتى تخدم أهدافها الرئيسية ورؤيتها السياسية ، ومن اللافت للنظر أن وائل غنيم كان قد صرح فى بعض مرئياته أن اتجه أيضاً إلى السلفيين ، وأنه كان قريباً منهم ، وسواء تزامنت المرحلتين ، أو سبقت إحداهما الأخرى ، فيبدو أن وائل غنيم لم يقدر على الإستمرار وسط أجواء لم تعبر عنه ، ولم تصمد أمام ثورته الداخلية ، حتى أنهما قد فشلتا فى تقديم رؤية واضحة المعالم ، أمام شاب مقبل على حياة مفتوحة ، عميقة المعانى ، متعددة المساقى ، والإقتصار فيها على أسلوب واحد للتفاعل مع معطيات المجتمع ، والتعامل مع فئات بعينها ، مزودة بآلية لا تقبل النقد ، أمر يدعو للجمود ، ويقطع الطريق على إمكانية الحصول على إجابات شافية أمام أسئلة ثائرة طوال الوقت .

▪ لكن يبدو أن الشاب الثائر ، لم يثر لتصحيح الأوضاع التى ثار عليها ، وحاول الإفلات من قيودها ، وإنما فضل أن يقتلع جذور الماضى ، ويمضى يغرس بذور الحاضر ، محولاً مساره إلى طريق آخر ، لعله يستطيع أن يجد نفسه فى نهاية المطاف ، ويبدو أنه قد شعر أن كل ما يحيطه يحتاج إلى تغيير من الجذور ، كانت خطته أن يطرح كل ما تلقى من أفكار ، ليبحث عن أخرى تعبر عنه ، برع وائل غنيم فى مجال التكنولوجيا والمعلومات ، وقام بإنشاء مواقع شهيرة له على الانترنيت ، ومن الطريف أنه حينما أراد أن يتزوج ، أنشأ موقعاً يخدمه فى ذلك ، حتى استطاع الزواج من أمريكية ، وهو فى سن الثمانية عشرة عاماً ، ويبدو أنه بعد هذه الخطوة ، قد زاد تعلقه بالتكنولوجيا ، وأصبح على ثقة أنها قد تقلب حياته رأساً على عقب ، حيث شرع يكثف تطلعاته ، وبدأ حلم الإلتحاق ب(جوجل) يطفو على السطح ، وقام بالفعل بتقديم أوراقه ، وخوض الإختبارات واحداً تلو الآخر ،

وبعد محاولات عدة فاشلة للإلتحاق ب(جوجل) ، تأتى الأقدار لتجعل من الشاب وائل غنيم مديراً للتسويق على مستوى الشرق الأوسط فى شركة جوجل العالمية ، ليبدأ إطار مرحلة أخرى تماماً فى الظهور ، ربما كانت نقطة فاصلة فى حياة هذا الشاب .

▪ انتقل وائل غنيم للعمل فى الشركة العالمية جوجل كمديراً للتسويق فى منطقة الشرق الأوسط ، ومن ثم اعتلى قمة طموحاته ، وهناك شعر أنه الآن بإمكانه تغيير كل ما كان يدعو لسخطه ، أو يثير حفيظته فى مصر ، وأحس برياح التغيير تعصف من داخله ، وعليه فقط أن يضغط على الأزرار التى تحول مسارها إلى مصر ، للقضاء على النظام القابع هناك ، والذى كان يمثل له ولكثير من المصريين رمزاً للفساد والظلم ، وبعد تظاهرات انقلبت لثورة عارمة عمت أرجاء البلاد ، استطاعت رياح التغيير الإطاحة بنظام جثم على الصدور لمدة ثلاثين عاماً ، وهنا تنفس وائل غنيم الصعداء وأحس بنشوة الإنتصار تملأ صدره للمرة الثانية ، ظناً منه أن تمكن تماماً من قواعد اللعبة ، وأنه يستطيع تغيير الشرق الأوسط بكامله إذا ضاعف من جهوده ، وأحكم خطته على نحو أعمق .

▪وبين نشوة الإنتصار وأحلام اليقظة ، أفاق وائل غنيم على حقيقة لم يجد بداً من الخضوع لها ، فعند سقوط نظام بالكامل ، سيحل مكانه أقوى الكيانات الموجودة على الأرض ، وحتى لو كان يرفضها هو ، وتربطه بها ذاكرة سيئة ، فقديما انتقد الإخوان المسلمين ، وهرب من سطوتهم الفكرية ، ليكون هو بنفسه سبباً فى توليهم سدة الحكم ، ثم يظهر الجانب السلفى مرة أخرى ، ولكنها المرة الأولى له فى حلة سياسية ، ذلك الجانب الذى هجره وائل غنيم ، ولم يره إطاراً مرناً يستطيع العيش بين جنباته . انصاع وائل غنيم لواقع الأمور ، متعللاً بأن هذه الأطراف التى خلفها وراء ظهره قديماً ، قد تكون قد طالتها رياح التغيير ، وأنها ربما تعلمت قواعد اللعبة الجديدة .

▪ غير أنه وإن كان النظام قد سقط ، فقد بقيت أذنابه ، التى عاثت فى الأرض ، وأصبحت تكيد المكائد للإخوان المسلمين وهم فى سدة الحكم ، والاخوان يحاولون الرد ، ثم مشاكل أخرى بين الأخوان والجانب السلفى ،وأفخاخ وأنصاب ، سقط على إثرها الأخوان المسلمون ، الذين لم يكونوا على قدر كافى من المرونة السياسية منذ البداية ، لإستقطاب المشهد والسيطرة عليه ، ووقعوا فريسة سهلة لقلة خبرتهم إضافة إلى عنادهم وطريقتهم الجامدة فى التعامل مع المعطيات ، على أن هذا السقوط كان قد توقعه من رأى المشهد بوضوح منذ البداية ، ودخل الأخوان بعدها فى مجموعة صراعات يائسة ، خاسرة فى نهاية المطاف . فى الحقيقة لم تمر كل هذه الأحداث مرور الكرام على وائل غنيم ، ووجد نفسه فى حاجة لمراجعة أفكاره من جديد ، فهل قام بالتغيير كما أراد ؟؟ أم أن قواعد اللعبة تغيرت وفق حسابات أخرى على الأرض ؟؟ تلك الحسابات الجديدة التى فرضت

نفسها فرضاً ، وبدلت المرسوم ، وغيرت المخططات ، وأظهرت جوانب أخرى خفية ، لا يمكن التغافل عنها فى اللعبة .

تساءل الشاب فى حيرة : طالما أن هناك دائما حسابات أخرى ، فهل كان الأمر يحتاج للثورة ؟ وما هى الثورة إذاً ؟؟ وهل هناك وجود لما يسمى الثورة فى قواعد لعبة الحياة ، أم أن هناك مصطلحاً آخر قد يصلح للعبة ، من شأنه أن يصل لأهداف مشروعة وحقيقية يمكن تنفيذها على الأرض ؟؟

- **فى الواقع يبدو أنه لا فائدة من إسقاط الأنظمة ، فى حال عدم توفر رؤية كاملة ، وخطط بديلة ، من شأنها أن تشغل الفراغ الذى قد يسببه إسقاطها ، وأن الأقرب دائما هو الأقوى ، وربما ليس الأجدر ، وما يجب أن يعول عليه هو الإصلاح ، ومحاولة التخفيف من وطأة الفساد ، والإصلاح الحقيقى يبدأ من الفرد ، ولا تتصور أن فساداً قد ينقضى ، أو ظلماً قد ينقشع ، فى حال فساد الفرد ، فهذا أشبه بالنقش على الماء ، تلك الأمور التى فطن إليها وائل غنيم فى نهاية المطاف ، بعد مراجعة لأفكاره وربطها بما حدث على الأرض .**

- **ثم توارى وائل غنيم عن الأنظار ، ويبدو أنه قد فضل الغياب عن المشهد ، الذى ربما خلف عنده نوعاً من الإرتباك ، ودفعه دفعاً إلى مزيد من المراجعات ، وفرز الأفكار ، ومراقبة المستجدات من خلف الستار فى حالة من الترقب ، واستنباط الدلائل من قلب الأحداث ، لا عن أحكام مسبقة ، ساقتها تصورات ناقصة ، وأهواء مترنحة ، وحماسة ساذجة فى نبض قلب ثائر، فبعد الجزم بنقص الرؤية ، وتخبط الأفكار ، قرر وائل غنيم أن يعيش السكون ، ويشق غبار الوحدة ، فأطفأ سراجه المتوهج ، ولزم كهفه المظلم ، بعد أن شق عليه أن يرى نور حقائقه المزعومة ، والتى تهاوت أمام عينيه واحدة تلو الأخرى ، ولكن يبدو أن ثورة أخرى اخترقت ظلمات الكهوف ، وأمسك الشاب– الذى لم يعتد سكنى الكهوف – بمعوله ينقب ، لعل بعض النور ينفذ إلى عمق الظلام فيذيب جدرانه ، ويخرج الشاب يلتمس طريقاً لتجاوز المرحلة ، ومعالجة كل المدخلات ، والخروج بتفسيرات يستطيع إعتمادها كحقائق على أرض الواقع .**

▪ وبعد اعتماد الحقائق الجديدة ، كان لابد من طريقة لعرضها ، ولأنها كانت فى أغلبها بخلاف الصورة الأولى التى رسمها وائل غنيم لجمهوره ، فكان لزاماً أن يغير طريقة العرض ، ويحاول بطريقة تدريجية ، أن ينتزع الصورة القديمة من إطارها ، وتركيب أخرى مكانها ، وبطبيعة الحال لم يكن هذا بالأمر باليسير ، إلى أن اهتدى وائل غنيم لطريقة قد تمكنه من الوصول لجمهور افتقده ما يقرب من ٦ سنوات متتالية .

▪ انها طريقة (مهرج السيرك) الذى يمزج ما بين الضحك والبكاء ، والحركات الساذجة المثيرة للسخرية ، والمضمون الكامن الذى يريد إفراغه من جعبته ، حيث تبين للشاب الثائر أنه ليس من المعقول أن يطل على جمهوره بأفكار مباينة تماما لسابقاتها فى نفس الثوب القديم ، فقرر إرتداء ثوب (البهلوان) الذى يتلوى ليظن الناس أنه مجنون ، فيقوم بإرسال رسائله لهم ، ولو أنه قدم عروضه بشخصية العاقل ، لثار ثائرة جمهوره واتهموه بالتناقض ، ورموه بالخيانة .

▪ استقبل الجمهور وائل غنيم (البهلوان) بعقول مشدوهة ، ومشاعر مضطربة ، تغلب عليها الحيرة ، وقد رثوا لأمره ، وظنوا أنه قد فقد عقله ، ربما لما تعرض له من ضغوطات فى المرحلة السابقة ، والتى أخلت بتوازنه ، وأفقدته إتزانه ، غير أن وائل غنيم بدا عليه أنه ارتاح لطريقة العرض الجديدة ، فهى كما يراها الطريقة المثلى للمثول أمام جمهوره والنفوذ إلى عقله من جديد ، وهى مرحلة مؤقتة للتواصل ، تعقبها مراحل أخرى .

▪ نزع المهرج قميصه أمام كاميرا هاتفه المحمول أثناء عرض مرئى له ، ثم ضحك ، ثم بكى ، فى محاولة لكسب التعاطف ، بدلاً من التعرض للإنتقاد ، وكأن رسالته أنه يكشف عن الزيف الذى سكن عقله ، ووضع عنه هالة القداسة التى طوقها به جمهوره ، وذلك للتخفف من أحكام الإدانة التى قد يصدرها جمهوره ، بعد غيابه الغير مبرر عن المشهد ، وكأنه قد أدار ظهره لهم .

▪ ثم فى حركة بهلوانية أخرى يحلق رأسه أمام الكاميرا ، فى دعوة منه للتخلى عما يحب ، وأنه يجب أن يتجرد مما يحبه ، ليكشف الغطاء عن آثار قد تصيب الإنسان عندما يختار ما يركن له قلبه ، ظناً منه أنه الحق ، وكأن وائل غنيم يحذر من إتباع الهوى ، والفحص والتمحيص فى كل ما يدور فى أفلاكنا ، وطرحه من المعادلة ، حتى وإن كانت تميل إليه القلوب .

▪يستطرد وائل غنيم فى بهلوانيته ، فيشعل سيجارة الماريجوانا أمام الكاميرا ، وكأنه يشير إلى طبيعته البشرية ، وأنه يخطئ ، فيتناول المخدرات معترفاً بأنه بذلك اقترف ذنباً ، وهذه فرصة أخرى يطرقها وائل غنيم ليدك آخر حصون القداسة التى طالما يضعها الشعب المصرى حول بعض الأشخاص لإقدامهم على أى عمل ربما ينبئ ظاهره أنه بطولياً ، وسرعان ما ينتزعونها منهم لمجرد اقتراف خطأ بسيط ، هذا التحرر من شأنه أن يساعد وائل غنيم فى أن ينفذ إلى جمهوره دون أن يحاكمه إلى حياته الشخصية .

▪منتقلاً إلى خطوة أخرى من عرضه الجديد ، يطل وائل غنيم على جمهوره ، يتلو ما تيسر من آى الذكر الحكيم على مسامعهم ، فى محاولة منه لإقناعهم أنه يعترف بذنبه ، ويحاول جاهداً التقرب إلى الله ، ليغفر له خطاياه ، ويساعده فى إجتناب الذنوب .

▪ وهكذا ينتقل وائل غنيم المهرج ليقدم عرضاً تلو الآخر على المسرح الذى أعده خصيصاً ، وراهن أن جنباته ستمتلئ بالمتفرجين .

▪إن وائل غنيم الذى راهن على أن طريقته البهلوانية ستجذب المتفرجين ، قد ربح رهانه ، وتمكن بطريقته الرمادية من أن ينفذ إلى أقطار الشارع المصرى من جديد ، وما بين داعم ومستنكر ، وفاهم ومستفهم ، برز وائل غنيم كموضوع يشق طريقه إلى عقل المشاهد ، وظاهرة تفتقر إلى تفسير .

▪ويبدو أن الرمادية فى العرض ، وتمييع المواقف التى يجدر بها أن تكون حاسمة ، ترفع الحرج عن الشخص كونه محسوباً على فئة أو عقيدة أو فكر ، وتزيد من مطاطية الإطار المحيط به ، فيعرض أفكاره دون خشية من تبعاتها ، حيث يتم عرضها على المتابع على أنها مجرد تصورات حيال قضايا بعينها ، ولكن يتم خلالها غرس أفكار جديدة على طريقة سحرة فرعون .

▪فلا مانع من شرب الخمر وتدخين الماريجوانا ، إن كان ذلك سيصرف عنى إتهاماً بأننى محسوب على طائفة دينية ، وفى الوقت ذاته سأقرأ على مسامعك نصوصاً مقدسة حتى لا يتسرب لداخلك

أننى منزوع الفطرة الدينية ، وما بين هذا وذاك سأطرح عليك أفكاراً ربما كانت على نقيض أفكار كنت قد تبنيتها فيما سبق ، على أن أفكارى الجديدة ليست مذهبية أو طائفية ، وإنما من واقع التجربة الإنسانية .

▪ فى الحقيقة هذه الأفكار التى لا تستند فى مضمونها إلى أوليات ثابتة ، يمكن المحاكمة إليها ، قد تتسبب فى تشويش ذهن المتلقى ، وربما قد يغرق فى بحر النسبية المظلم ، فيحاكم الأمور إلى قناعاته الشخصية ، والتى ربما نبعت من تجربته ، التى كانت لتختلف بإختلاف البشر فى معالجتها .

▪ ولا غرابة إذاً من أن يقع وائل غنيم نفسه فى شراك الإلحاد لفترة زمنية ، وهذا بإعترافه فى إحدى فيديوهاته ، فإنعدام المركزية والإعتماد على التحليل البشرى النسبى دون الإتكاز على قواعد يحتكم إليها البشر ، يخلخل الدعائم ، ويفقد الإتزان ، ويجعل الإنسان عرضة للسقوط .

▪لكن وعلى نفس الصعيد ، يبدو أن هناك ما دعا وائل غنيم إلى اللجوء للمنطقة الرمادية ، فوائل غنيم الذى نفر من الإخوان المسلمين ، وهرب من السلفية ، ربما وجد نفسه مضطراً إلى ذلك أمام منظومة غير متكاملة ، تشوبها النقائص ، ولا تقدم تصوراً شاملاً للتعامل مع مجتمع خانع أمام ثقافة الغربى ، يستلهمها فى أسلوب حياته ، وسن تشريعاته وقوانينه ، وربما كانت الحلول التى قدمتها له هاتان الطائفتان حلول تصادمية مع سلطان منهج عالمانى مكتسح ، وربما نأت أحدهما أو كلاهما عن التعامل المباشر ، فخلفت حيرة عند المريدين فى مواجهة العالم ، وتساؤلات لا حصر لها حول منهج من شأنه التعامل مع مفردات الواقع ، منهج لإنسان لا يمكنه العيش سوى فى جماعات سيطرت على صيرورة حياتها برامج ومشروعات وأفكار ، لا يجدى معها نفعاً تصنيفها على أنها محلية أم مستوردة من الخارج .

▪هل تمكن وائل غنيم من إيجاد طريقة مناسبة للعيش فى خضم مجتمع أصبح فيه الدين عمداً مجموعة من الشعائر ؟؟ هل استطاع التكيف مع الأوضاع نفسها التى ثار عليها من قبل ؟؟ هل حقاً فهم قواعد اللعبة ؟؟

والسؤال الأهم : هل المنطقة الرمادية هى الحل ؟؟


أجواء مشحونة
بقلم /وائل مجدي
صفحة يوميات متأمل

أجواء مشحونة

• كان الإنسان ولم يزل يميل إلى التواصل ، فاتصل أولاً بطبيعته ، وحاول استكشافها ، ليحصل منها عما قد يسد رمقه ، أو يستر جسده ، أو يقيه من بردها القارس ، ويحجب عنه حرارتها الحارقة ، ثم أدرك أن العيش فى جماعات ، قد يساعده فى الحصول على احتياجاته بطريقة أيسر من العيش فى عزلة ، فتكونت القبائل ، وتواصلت القبائل ، فنشأت الشعوب ، وبدأت تنتظم حركة الحياة فى أطر محددة .

• غير أن زيادة عدد الأفراد ، يطرد مع عدد الحاجات والأفكار والأهداف ، نظراً لتعدد الرؤى واختلاف الأفهام والثقافات ، ورغم أن هذا يخلق نوعاً من الزخم المطلوب لتحقيق التنوع الذى يسهم فى إستمرارية الحياة ، إلا أنه وفى الوقت ذاته ، قد يخلق أجواءاً من القلق والتوتر ، إذا ما انتفت وجود أرضية مشتركة بين الأفراد ، واختلفت الأهداف ، وطرق تنفيذها ، وتباينت الخطط ، والنظرة إلى الواقع المعاش ، فهنا قد يضطر الفرد للتعايش مع الآخرين على طريقتهم ، مما قد يحرمه من التعبير عن احتياجاته الشخصية ، فيصير قالباً من القوالب ، أو أنه قد يضرب القطيعة معهم ، فيكتوى بنار الوحدة والعزلة ويخرج من نسيج الجماعة .

• وإن كان الأصل فى حياة الفرد هو اختلاطه بالآخرين ، إلا أن الأمر لا يستوى دون وجود العزلة المقيدة أو المشروطة ، فالفرد لابد وأن يخلو بنفسه ، يقيم معها الأحاديث ، يراجع ترتيب أموره الحياتية ، يبحث فى الأهداف ، ويضع الخطط ، ويبنى الإستيراتيجيات وفق الإمكانيات المتاحة ، ثم ينظر فى أمر الجماعة التى تحيطه ، هل ستوفر له المدد والعون فى التعبير عن نفسه ، وتحقيق ميوله واحتياجاته ، أم أنها ستكون حجر عثرة بينه وبين طموحاته ، وهل من الأفضل أن يترك تلك الجماعة ليختلط بأخرى ، أم أنه قد يستطيع أن يساير الركب ، حتى يصل لنقطة بداية ، وبخاصة إن لم تكن بدائل التنقل بين الجماعات متاحة .

• هذه العزلة ، والتى هى طارئة على أصل الإختلاط مشروطة بمراجعة الحسابات ، وجدولة الأعمال والترتيبات ، ومعالجة المستجدات ، وليست للهروب أو التخلى عن ممارسة الإنسان لأنشطته الجماعية اللازمة لوجوده ، وإنما قد تكون أيضاً لإعتزال الممارسات السلبية من الجماعة المحيطة والتى قد تعيق من تقدم الفرد ، وربما اعتزال جماعة بعينها والإنتقال–إن أمكن– لجماعة أخرى ، قد تزيد من فرص التواصل الحقيقى ، وتدفع الفرد للأمام .

• على أنه وفى بعض الأجواء المشحونة بالسلبيات والمعوقات ، على الفرد أن يكون له دوراً إيجابياً فى أمور النصح والإرشاد ، والتوجيه إلى جادة الطريق ، فإن باءت كل هذه المحاولات بالفشل ، وانقطعت كل السبل ، فعلى الإنسان أن يعتزل تلك السلبيات ، أو ينتقل لجماعة أخرى ، حتى لا تنتهى مشاريعه ، ويصيبه اليأس والإحباط ، فيرتد على عقبه ، دون أى تقدم يذكر .

• وملاك الأمر أن يستطيع الإنسان أن يصل إلى حالة من التوازن بين اختلاطه بالناس ، وبين العزلة عنهم ، فلا ينقطع عنهم ، ولا يصبح فرداً من القطيع ، فلا إفراط ولا تفريط ، فلا يختلط بالفاسدين ، ويكون إعتزاله مؤقتاً بهدف البحث عن الصالحين .


موت الفكرة أم فكرة الموت؟
بقلم/وائل مجدي

موت الفكرة أم فكرة الموت ؟

إن كانت قيمة الفرد بما يحويه عقله من أفكار ، فإن الحياة بأسرها تقوم على فكرة ، فإن ذبلت تلك الفكرة فى أذهان الأحياء ، صاروا أشباحاً ، مجوفين من الداخل ، ضلوا فى قفار أنفسهم ، وقد ضاع زادهم ، وأصبح مصيرهم مجهولاً .

فبموت الفكرة ، تضيع المركزية ، وتصبح الدوائر فارغة المحتوى والمضمون ، وتصير الحياة كما وصفها القرآن :

(وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) ؛ مما يشعر الإنسان بحالة من الضياع لن تشفيه الشهوات وإن غرق فيها ، ولن تنقذه الملذات وإن اتخذ إليها كل سبيل ، لأن روحه تسقط حبيسة فى غياهب الظلام مقيدة بقيود غليظة من المادة ، لا تستطيع الإفلات منها للنور ، فتذبل ثم تموت ، فيموت صاحبها وإن كان على قيد الحياة ، وربما يلجأ فى النهاية لإنهاء حياته وسط هذه الأجواء المعتمة .

وقد كانت الفكرة واضحة منذ البداية ، ولم يتركنا الله لأهوائنا ، حيث قال فى كتابه العزيز { وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية} ، وفكرة الحق على النقيض من فكرة العبث التى ينتهجها أولئك الذين ظلموا أنفسهم ، وأقروها متوهمين أن الله خلق الخلق ثم تركهم ، وكأنه–حاشاه– يتسلى ، وأن الحياة بلا ضوابط وأنه لا رجوع ، وأن الحياة مفتوحة على مصراعيها لمن أراد أن يعبث أو يفسد دونما عقاب فى حياة أخرى .

وفكرة الحق تتضمن العدل ، فلا جور ولا ظلم للعباد فقد أوضح سبحانه وتعالى لهم المنهج وتواصل معهم عن طريق رسله ، وتقتضى الحساب على الأعمال التى يقترفها البشر ، وتشير إلى

البعث من الأجساد للوقوف بين يدى الله ، فلا مجال للعبث ، وقد أشارت الآيات فى مواضع أخرى لنفس المسألة ، فنجد قول الله تعالى { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون } ، وقوله تعالى { وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين } .

ولما كانت لكل فكرة متعلقات ، فقد تطرقت الآيات لما يتعلق بهذه الفكرة فى قوله تعالى { وإلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب} ، فالإقرار بوحدانية الخالق ، وأنه تعالى وحده الذى يستحق العبادة ، وعمارة الأرض عن طريق إستغلال الثروات المودعة فيها وسبل الرزق التى وضعها الله لعباده حتى تستقيم حياتهم ، وتجنب الإفساد فيها ، وإرساء قواعد العدل وتجنب الظلم والجور فى الأرض التى خلقنا منها ، وإليها مآلنا ، والحرص على الإتصال بالخالق فهو الملاذ والملجأ –هى لوازم للفكرة التى قامت عليها هذه الحياة .

وحيث أن فكرة الحق على النقيض من العبثية ، فقد اقتضت أيضا التكليف ، والإختبار والإبتلاء ، والثواب والعقاب ، ولنتأمل بعض الآيات التى تطرقت لهذه المسائل :

– { أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون }

– { ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين }

وإذا كان هناك ألما فى التكليف ، وكانت الحياة مليئة بالآلام والشرور ، فهذا لجزيل الثواب فى الآخرة ، ولتعلم أنه مهما بلغت تلك الآلام فإنها لن تساوى من نعيم الآخرة شيئاً ، على أن مصدر هذه الآلام هى البشر أنفسهم كونهم يمتلكون الإختيار ، فهى غير منسوبة لله ، وكونه سمح بها ، فهذا ليختبر الخبيث من الطيب ، ويفصل بين من يستحق الثواب ومن يستحق العقاب فى الآخرة .

ولو أن الله تدخل لينهى تلك الآلام أو الشرور ، فما فائدة الإختبار ، وما الحكمة من السنن الكونية التى وضعها فى خلقه ، ونقض هذه السنن يخلق نوعاً من العبث ، وكل الإعتراضات وتوجيه اللوم ضد الاله فهى مردودة على أصحابها ، فالتكليف والعبادة جعلهما الله لمصلحة البشر ، وهو غنى عنها ، فالروح لن تصفى إلا بالإتصال بخالقها ، ولن تهنأ إلا بالقرب منه ، وهو القائل { ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا } .

والله جل فى علاه يعلم ما يشفى الروح ، وما يكون سبباً فى علتها ، فالتواصل معه رحمة وشفاء لما فى الصدور ، ويعلم ما تضمر النفوس حيث يقول { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } .


يوميات متأمل
رحلة البحث عن الهوية
بقلم : وائل مجدي
تصميم : غيث وليد

رحلة البحث عن الهوية

كان ذلك منذ فترة طويلة ، ربما كنت فى العاشرة ، حينما تفتحت عيناى على مجموعة من الشباب فى مرحلتهم الجامعية ، اختلفت تخصصاتهم وتنوعت دراساتهم ، وتفاوتت أعمارهم،ولكن جمعتهم مظاهر واحدة ، يبدو أنها تروج لفكرة واحدة ، يمشون حثيثا نحو هدف واحد .

كان أولئك الشباب قد أطلقوا لحاهم ، تراهم يمشون فى جلباب قصيرة ، هذا المشهد الجديد ، والحدث الطارئ ، قد أثار فضولى وأنا فى تلك السن المبكرة ، فهؤلاء الشباب قد لمع نجمهم ، وذاع صيتهم ، ربما ساعدتهم فى ذلك هيئتهم الغير مألوفة وصورتهم الغير معهودة بين الشباب والعجائز ، وتحولت الأنظار ناحيتهم ، وعلى استحياء شرعت فى مراقبة تصرفاتهم .

ارتادت تلك العصبة المساجد ، وحافظوا على الصلوات ، وانك لتراهم حيثما ترى ملتفين ، متقاربين يتناقشون فيما بينهم ، وقد أخذ نشاطهم فى الظهور ، وبدأت الاحظ بعض الملصقات الدينية ، وهى تارة لأحاديث نبوية ، وتارة أخرى لآيات قرانية ، وأحيانا تكون عبارة عن مبادئ دينية تشتمل فى طياتها على مجموعة من الأوامر أو النواهى ، ثم مكتبة صوتية أحضروها للمسجد وهى لمجموعة من شيوخ السلفية ، والذين ذاع صيتهم فيما بعد فى المنابر الاعلامية على أثير القنوات الفضائية ، أمثال : محمد حسان ، محمد حسين يعقوب ، محمود المصرى ، أبو اسحاق الحوينى وغيرهم ....

وقادتنى فطرة الطفل المتعطش لاستكشاف الحياة من حوله ، للتقرب من هؤلاء الشباب ، أريد أن أحظى بنشاط من شأنه أن يقودنى لدور فى المجتمع الصغير الذى أعيشه ، وربما الفطرة الدينية كانت الدافع الأكبر وراء هذا التقرب ، ربما للسعى وراء مفاهيم جديدة ، أو قتل الفضول نحو تلك

المفاهيم والتى طالما ترددت على مسامعى ، ولكنها كانت تبدو لى كألغاز طالما وددت أن أضع يدى على مفاتيحها ، مثل : الجنة ، النار ، الموت ، ما بعد الموت .

فى البداية أخذ ذلك التقرب شكل التلقى والانصياع التام ، والطاعة العمياء لكل مبادئهم وأساليبهم التى كانت تميل فى بعض الأحيان الى التشدد ، وبهذا بدأت حياة جديدة تنمو بداخلى وصار ديدنى الاستماع لشرائط الكاسيت لمختلف شيوخ السلفية ، وقراءة كتيباتهم.

وكان الأبرز تغير صورة معاملاتى اليومية والتفاعل فى المنزل : فالتلفاز حرام.. حلق اللحية حرام .. الموسيقى حرام ..الصور الفوتوغرافية حرام .. سجادة الصلاة المزركشة قد تبطل الصلاة ..النقاب فرض .. صاحب الثوب الطويل قد وقع فى خطر عظيم ولا يقل عنه خطرا من وقع فى شراك الفلسفة فى محاولة لدراستها .. أو فكر فى اجتياح مجال علم النفس فكلها علوم غربية لا ينبغى لنا نحن المسلمين مجرد الاقتراب منها ......

والأكثر مما سبق فيجب ألا أقيم وزنا للشيخ الشعراوى ، أو أغالى فى تقديره ، لأنه صوفى ، ينبع فكره من الصوفية ومبادئها المستهجنة ، أما الدكتور مصطفى محمود كافر لأنه أنكر الشفاعة .. ثم بدأت تتسع دائرة المحرمات والمنكرات ومسالك البدع فى العصر الذى نعيشه .

ولكن وفى المقابل بدأت تضيق دائرة أخرى .. فكان الصدام الحتمى بين الطفل الذى بلغ الثانية عشر وربما الثالثة عشر مع المحطة الأولى وهى الأسرة ، ثم الأصدقاء ، والأقارب.. وهنا بدأ يضيق الخناق فأنا أفقدهم واحدا تلو الآخر....

وبين الأنا و الاخر دارت الدوائر ، ولاثبات الذات فى مقابل الموضوع كانت المجادلات ، وأصبح التطرف هو التهمة التى ألصقها كل طرف بالاخر، وأصبحت أنا والاخر على طرفى نقيض ،كل منا يدعى الوسطية والاعتدال ، ويمنح هذا الشرف العظيم لنفسه .

وتاهت الحقائق ، وكثر الجدل واللغط ، وحلت الغوغائية لتصير هى السمة المميزة للخطاب والحوار ، ثم خارت القوى .. ودخلت فى مرحلة من الصمت العميق ، وأطلت من رأسى علامات الاستفهام .. وارتسمت على وجهى علامات التعجب .. لماذا أواجه الاخر وهو الجيش الجرار ؟!

..لماذا أصر على أن أسبح ضد التيار ؟! ولماذا أضل عن القطيع فى حال أنه من الأمر اليسير أن أصير أحد أفراده ؟

وهل دخلت الاسلام وخرجوا هم منه؟!!!!

وتضاربت الافكار ، وشرعت المعتقدات فى الانقشاع ، والظنون فى الاكتساح .. وأصبح الشك فى المكتسبات أمر واقعى ، خاصة بعد الانسلاخ من الطفولة والدخول فى مرحلة المراهقة ، حينها زادت المغريات فى مقابل التمسك بما قد فات ، واتضحت ملامح كانت بالأمس معدومة ، ثم جاء التحول الكبير ، بعد الانغماس فى الشهوات ، والاستجابة للرغبات ، وأصبح بامكانى أن أكون فردا من القطيع..

ثم أصبح للحياة مفردات أخرى ، وتغيرت الدوافع وتبدلت ، فأصبح الوصول لمكاسب شخصية ، أو تحقيق مصالح خاصة –وان كانت على حساب الاخرين – المبدأ الرئيسى والمطلب الملح ، وصار النفاق الاجتماعى هو أساس التعاملات ، والأمر البديهى الذى تستقيم به العلاقات .

وباختصار فان (النفعية) هى الأساس الذى يجب أن تقوم عليه شتى مظاهر الحياة للفرد ، فلا مكان لمبادئ عافت عليها الأزمنة ، أو عاطفة قد تحمله على الاشفاق على ضعيف أو محروم ، واختزل مفهوم (العدل) فى التشدق به ، وتوارت مظاهر الرحمة والتراحم بين البشر، واقتصرت على عبارات أطلقتها الألسنة ، وتجاهلتها القلوب والأسماع والأبصار .

وكان لزاما أن أستوعب تلك المفردات ، وأن أنسج منها العبارات ، حتى لا أتخلف عن القطيع ، الذى أخذت على عاتقى أن أقدم له سبل الطاعة والانصياع ، وأصبحت مهيئا من واقع تلك الأفكار لمرحلة جامعية ، أرتادها مؤكدا انتمائى لفلسفة القطيع .

وتلبية لنداء المادة ، والبحث عن تحقيق مطالب الذات التى لا تنتهى ، واشباع الرغبات النفسية التى لا تنضب ..كانت حياة الشاب الجامعى الذى ظن أنه بذلك المسلك يستطيع تحقيق ذاته ،

وأن يتوافق مع المجتمع الذى يسير على نفس النمط ، ولماذا لا تتماشى أفكاره مع مجتمعه وتستنبط مبادئه من فيضه ، ولماذا لم يصبح واحدا من الاحاد ، وما الفائدة من انتقاد قوانين البشر وحركة المجتمعات ، وما نتيجة ذلك سوى النبذ والعزلة ؟!!

وانتهت المرحلة الجامعية ، وشرعت فى طرق سوق العمل ، والاندماج بشكل أعمق وأوضح فى المجتمع ، وكانت المفاجأة الصادمة ، حين رأيت أولئك الشباب الذين التقيت بهم فى مرحلة الطفولة .. ولكن تلك المرة يبدو أنهم لم يصمدوا طويلا أمام دوران الحياة ، وحركة القوانين ، يبدو أن حدة طباعهم لانت أمام حدة الأيام ، وبالرغم من أنهم احتفظوا بنفس المظاهر مرتدين نفس الثوب ، ولكن يبدو أن الثوب أصبح فضفاضا ، وقد اتسع لأمور أخرى ، أولئك الشباب الذين حرصوا على تلقى العلم الشرعى على يد شيوخهم السلفيين ، يبدو أنهم قد اكتفوا بمتابعتهم على شاشات الفضائيات ، أولئك الشباب الذين حرصوا على أداء الصلوات فى الجماعة الأولى ، يبدو أنهم لم يعودوا يأبهوا كثيرا بذلك ، فتأخير الصلاة أصبح بالنسبة لهم أمرا عاديا ، وربما قد تضيع الصلاة ، فهموم الحياة أصبحت أكبر ، والسعى وراء المادة وتوفير احتياجات المعيشة أصبحت لها أولوياتها الملحة ، ولم يعد يحتفظ هؤلاء الا بلحية وجلباب قصير.

وهنا زادت عندى الأمور تعقيدا ، كيف ينتهى الحال بالطرفين الى مسلك واحد ؟!! وكيف أصبح المظهر الخارجى هو القضية الشائكة ؟ !! وأى الطرفين يملك الحقيقة وأيهما أولى بالصحبة ؟!!

ووسط تلك الحيرة ، وفى كنف هذا الغموض ، لم أجد بدا من محاولة البحث عن الطريق ، وشق تلك الضبابية التى خيمت على كل الأمور ، فلم أعد أثق بأى من الفريقين ، وكيف أثق بفريقين على طرفى نقيض ، كل منهم يحاول أن يفرض أفكاره فرضا على الآخر .

ففريق يغوص فى ماديات الحياة بكل ألوانها ، كل ما يصبو إليه هو تحقيق رغباته واشباع ملذاته ، ثم يأتى عنده الدين فى مرتبة فرعية ، وهو لا يتعدى مجموعة الشعائر والطقوس ، ولا تشكل عندهم المسائل الروحية وعلاقة المخلوق بالخالق سوى مجرد سلوكيات قد يسلكها كل من فشل فى التعامل مع الحياة أو التجانس بشكل أو بآخر مع مفرداتها ، والتدين عندهم قد يكون محاولة للهروب من محاولات بائسة للتعامل مع الواقع ، ومن ثم فلا يبقى سوى التعامل مع مفردات أقل حدة تصبو إلى طرح الواقع بعيدا والسبح فى خيال خصب.

وفريق آخر يزعم أنه البقية الباقية من الدين ، ويقدم نفسه على أنه المنقذ أو المخلص ، وأنه سبيل النجاة فى الآخرة .. ويرى أن العلم الشرعى هو العلم الوحيد المناط به الدراسة ، ويهمل العلوم الانسانية والدنيوية ، هذا الفريق الذى يقدس شخصيات بعينها ، ولا يسمح بالاقتراب منها بالنقد أو ما شابه ، كابن تيمية ، وابن القيم الجوزية وغيرهم ، ونحن لا نقلل أبدا من قيمة الرجلين ، ولكن لا نستطيع أن نمنحهم العصمة ، أو التنزيه عن الخطأ ، فكل يؤخذ منه ويرد إلا رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ، وأعتقد أن هناك بعض الأفكار وخاصة لابن تيمية كانت محلا للجدل بين العلماء .

على أن بعض الشخصيات أمثال ابن سينا والفارابى وابن رشد وابن باجة ، لم تنل مثل هذا الاحتفاء أو التجليل ، تلك الشخصيات التى كانت أمثلة تحتذى فى الغرب ، وكانت بمثابة الفتيل الذى أشعل نهضة أوروبية قادت الى عصر التنوير فى أوروبا ، بعد أن كانت تغط فى سبات عميق وتتخبط فى ظلمات العصور الوسطى ، فهم –من وجهة نظر الفريق الأخير– أمثلة يجب أن تسقط من تاريخ الأمة ، لأنهم قد أقحموا الفلسفة فى الدين ، وبالتالى فكل من حاول تتبع آثارهم أو السير على هداهم ، أو حتى محاولة فهم تلك المرحلة التى كان فيها العرب نبراسا للعلم – فهو منبوذ وحاد عن جادة الطريق.

ومهما يكن من أمر ، فنحن لا ننزه أحدا عن الخطأ ، وانما نحاول البحث عن الطريق ، وايجاد هوية واضحة .

وانبثقت إشكالية الفلسفة والدين ، ولم يعد يسعنى البقاء فى الإطار السلفى ، فلم يعدالإطار مرنا بما يكفى لحركة الأفكار والأطروحات المتراكمة فى عقلى ، ثم أنى قد قطعت شوطا مع الأسلوب السلفى الذى أودى بى إلى معايشة حالة من الانفصام مع الواقع ، وما زلت أتذكر تلك العبارة القصيرة التى لم تفتأ تتردد على مسامعى حين قال أحد شيوخ السلفية محمد حسان [يامن تجردت من وسام الشرف فحلقت اللحية] ، سمعتها منه على أحد أشرطة الكاسيت وقتها ، وقد كنت فى الحادية أو الثانية عشرة على وجه التقريب ، وحينها لم أفهم مدلول العبارة ، إلا أننى بعدها ببضعة سنوات ، وبعد محاولة الخروج من عنق زجاجة السلفية ، تساءلت هل تلك العبارة تصح لأن تكون أسلوبا دعويا من أحد أكبر المشايخ المحسوبين على السلفية ؟؟ هل تلك العبارة تنطوى على الحكمة والموعظة الحسنة التى جعلها الله من دعائم الأسلوب الدعوى ؟؟

وبعيدا عن حكم اللحية فى الدين ، فقد أنكرت أن تكون تلك الطريقة تمثل خطوة على طريق الدين ، ثم حاولت جاهدا التخلص من تلك العاطفة الدينية التى تجرنى إلى كل من يتكلم بإسم الدين ، وإن كان السلفيون يحتكمون إلى القرآن والسنة فى معالجة القضايا ، فغيرهم من المعتبرين من رجالات الأزهر وغيرهم من العلماء والمفكرين الإسلاميين احتكموا أيضا إلى نفس المستقى ومع ذلك قد وجهت تلك الأخيرة الانتقادات اللازعة للمسار السلفى . فلماذا ؟؟

وقد كانت تلك نقطة الإنطلاقة ، التى شرعت منها محاولة الوصول إلى حقيقة الأمور ، وعدم قبول الأمور على علاتها ، وسماع الرأى والرأى الآخر .

فطرقت باب الفلسفة ، وأوليت الاهتمام الأكبر للفلسفة الإسلامية وقرأت للغزالى وابن رشد وابن سينا ، على أنه كان ولابد ومن باب فهم الأمور بصورة كاملة الاطلاع أيضا على الفلسفة اليونانية والغلسفة الغربية المعاصرة ، والتطرق أيضا إلى حركة المتكلمين التى ارتبط ظهورها بالدفاع عن الاسلام فى البلاد الأجنبية التى انتشر فيها ، حيث كان لفلسفة أرسطو وأفلاطون عظيم الأثر على ساكنى تلك البلاد .

ثم كان لابد من الإحتكاك بالدكتور مصطفى محمود وأفكاره المثيرة ، الرجل الذى عمد إلى ربط العلم بالدين ، وكيف ألحد الدكتور ؟ وهل أنكر الشفاعة بالفعل أم كانت له وجهة نظر ربما خاطئة ؟

تفاصيل كثيرة ودروب متعددة كان يجب أن أخوضها لتكوين وجهة نظر مستقلة ، كنت أود أن أنظر للدين من زوايا مختلفة ، لأصل إلى زاوية يطمئن لها قلبى ، ولا يرفضها عقلى ، فتناقض الدين درب من الخيال ، والدين مثالى لأنه صدر عن إله يستحق العبادة ، والتناقض فى أفكارنا وأفهمانا نحن..

ما زال ذلك الصوت الشجى ، والملامح الهادئة ، والأسلوب الرصين ، والكلمات الرقراقة التى كانت تنساب من بين شفتيه ، وكأنها رحيق ينساب من زهرته – تذكرنى بهذا الرجل ، فعندما ينطق د. مصطفى محمود ، يصغى قلبى ، وعندما يصمت تعلوه سمات الوقار .

حينما كنت أقرأ لهذا الرجل كنت أشعر أنه يصطحبنى فى رحلة لعالم الأسرار ، أو جولة حول عالم الأفكار ، يسافر عقلى تاركاً الجسد ، تطوف حوله الروح والتى قد أقلعت بدورها متحللة من هذه الأغلال التى أغلظها عليها ذلك الجسد ، ولولا سلطان العقل لظلت حبيسة بقيودها الغليظة .

التهمت أفكاره بنهم شديد ، كنت أرغب دائما فى الإستزادة ، هذه المرة الأولى التى أشعر بقرب الله وكأننى أراه ، لكن كان هناك سؤالا دائماً يجول بعقلى ، ما الذى يجعل رجلاً بهذه السمات ينكر فيما مضى الغيبيات كالجنة والنار والحشر وغيرها من الغيبيات ؟! وهل من يعترف بوجود إله قد ينكر الغيبيات ؟

كانت هذه الأسئلة تلاحقنى ، ولكن بعد مزيد من القراءة ، وجدت الرجل يجيب بنفسه فى كتاب صدر منذ سنوات قليلة (اعترافات د. مصطفى محمود) عندما وجه له سؤالا تكاد تقترب صيغته من تلك التى راودتنى ، حيث أكد أنه لم يكن يشك يوماً فى وجود الله ، فهذه كانت دائما عنده بديهة ، وإنما شك فى الجنة ، النار ، الحياة بعد الموت ، الحشر والحساب ، وغيرها من تلك الغيبيات ؛ ذلك لأنه كان لا يرى سوى العلم ، ولايفهم إلا لغته ، ولا يفطن سوى ماديته ، ذلك العلم الذى لا يقيم لمثل هذه المسائل وزناً .

وأنه بعد مجموعة أمور حدثت له ، قلبت حياته رأساً على عقب ، وأصبح يبحث عن الحقيقة بكل ما أوتى من قوة ، كان يبحث عن تفسيراً لوجوده ، التمسه بالعلم فلم يجده ، فبحث عنه فى الفلسفة وعلم النفس فلم تكن بأفضل حال من العلم ، إلى أن ألهمه الله ، فعثر على طريقه فى الدين ، الذى أجابه عن كل أسئلته الحائرة ، حيث هدأ قلبه ، واستقرت روحه ، ورضى عقله ، ووجد تفسيراً شافياً لوجوده .

ثم ما لبثت الأستفهامات تجول بعقلى من جديد ، أتسائل ما الذى يجعل من هذا الرجل يزج بنفسه فى صراعات ، لم تجلب له سوى مزيد من الجلبة والإشكاليات من قبل مؤسسات دينية رسمية كالأزهر ، أو غير رسمية متمثلة فى طوائف أخرى ، فتارة يعلن أنه لابد من الثورة على الموروث ، وإعادة النظر فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم بما يتوافق والتطور العلمى الذى لم يكن بحوذة المفسر ، وأنه لا يمكن تفسير النار التى يخلقها الله من الشجر الأخضر بالتفسير الموروث ، وإنما بعد هذا التقدم الهائل ، لا يراها سوى الكلوروفيل وهى القنبلة التى وضعها الله فى هذا النبات

الأخضر ، ثم أنه لا يستبعد وجود بشر قبل آدم عليه السلام ، وأنه لا يرى حرجاً فى وجود سلف مشترك مع القردة العليا ، أو حتى وجود التطور الذى نادى به دارون من حيث ضمور بعض الأعضاء لتتكيف الكائنات مع الأوضاع الجديدة ، على أنه ينكر على دارون مسألة الانتخاب الطبيعى ، لأنها لا تفسر الجمال النابع من التنوع المودع بالكون فلماذا يبقى الفراش ذو الأجنحة المزركشة جنباً إلى جنب مع الفراش الذى لا يمتلك تلك الزركشة على أجنحته ، ولو أن المسألة هى البقاء للأقوى ، لبقى الحصان الذى هو أقوى من الحمار ، وما استدعى الأمر وجودهما معاً ، وكأنه يقول بالتطور الموجه ، وتارة أخرى يذهب د.مصطفى محمود بعيداً لينكر الشفاعة لعصاة المسلمين ، فإذا هم دخلوا النار ، فما هم بخارجين منها ، ولا يمكن أن يشفع النبى لعاص من عصاة أمته ، ولا يستجيب الله للشفاعة فى عصاة الموحدين.

الجدل الواسع الذى أثير حول تلك الأفكار ، جعلنى أستدعى عقلى من سفر بعيد ، حتى الروح التى كانت تطوف حوله ، قد شعرت بإرتياب ، لماذا لا يكون لهذا اللغط والجلبة الممتزجين أحيانا بالسخط – نصيب من الصحة ، وتكون الإحتمالات قائمة ومفتوحة ، فربما أخطأ الدكتور وأصاب الآخرون ، وربما العكس ، ولم لا وهو نفسه قد تراجع عن أخطاء له فى السابق ، لم أكن لأتخيل أن يقع فيها مثله ؟

وهنا بدأت أحزم الأمتعة لرحلة بحث جديدة ....

حزمت امتعتى من جديد متأهباً لرحلة بحث جديدة ، فلم تعد محطة د.مصطفى محمود تجيب على أسئلتى الحائرة ، فرغم انها كانت إنطلاقة رائعة ، تغلغلت تفاصيلها بداخلى ، وتملكت مآثرها من فؤادى ، وطافت نسمائمها بروحى ، ومزجت ذوقياتها بوجدانى ؛ إلا أن بعض أطروحاتها التى أثارت الجدل واللغط ، لم تستطع أن تصمد أمام معاقل الفكر الإسلامى ذو التراث العريض ، وباتت متهافتة ، وبخاصة تلك التى كانت تعنى بالتفسير العصرى للقرآن الكريم .

طرقت باب الفلسفة ، التى لطالما كنت مولعاً بها ، لعلى أقتبس منها نبراساً يضئ عقلى ، أو يرسم لى منهجاً لكيفية الوصول لحقيقة يطمئن لها قلبى ، قصدت (الفلسفة الإسلامية) فى محاولة لفهم التجربة التى مر بها الغزالى ، وما سر إعتراض إبن رشد على قناعات الغزالى المستفادة من تجربته .

وبينما أنا فى الطريق ، عثرت على شخص يمتطى الفلسفة ، ويعبر بلسان الفلاسفة ، يبدو أن له مشروعاً لم تتضح لى معالمه بعد ، يعقد الصالونات الفكرية ، يسافر لانحاء متفرقة من هذا العالم ، تجوب أفكاره بعقول شباب ، عكفوا على محاضراته ، وحرصوا على جلساته .

يبدو أننى قد وجدت ضالتى (هكذا تخيلت) ، هذا الرجل يفتح كل الأبواب التى ناءت أقفالها بعقلى الحائر ، يمر على الملفات التى كنت أود أن تفتح ، يخوض فى المسائل التى علقت بذهنى ، ولم أجد لها مخرجا .

إنه أحمد سعد زايد الذى راسلته يوماً أطلب منه يد العون بشأن مشروعى الجديد (يوميات متأمل) ، كان وقتها فى تونس ، فوافق وطلب منى أن أقابله حين عودته حتى يتسنى له ذلك .

شرعت فى متابعة ندواته ومحاضراته على اليوتيوب ، وعكفت على تحليلها والإستزادة منها ، حتى هالنى أمر غريب ، فقد لاحظت وجود بعض الشباب الملحدين فى تلك المحاضرات ، بدا لى أن هذا لا يزعجه ، حتى تيقنت بعدها أن هذا أمراً مألوفاً فى محاضراته التى يلقيها ، أو صالوناته الفكرية التى يعقدها .

وهنا أطلت الإستفهامات من رأسى ، لتعود أسئلتى الحائرة من جديد : من هذا الشخص؟ ما مشروعه ؟ ما نوعية الشباب الذين يحرصون على مجالسته ؟ وكيف يجتمع الشباب المسلمين والملحدين تحت سقف واحد يتناقشون حول موضوع واحد يطرحه أحمد سعد زايد الذى يفترض به أن يكون مسلماً ؟؟ وهل هذا الشخص مؤهل لأن يمدنى بالإسلام الوسطى الذى أبحث عنه دون كلل أو ملل ؟؟

من المفارقات أنه فى إحدى اللقاءات ، التى كانت تناقش قضية (الشر) كان أحمد سامى (الملحد حالياً) يتبنى وجهة النظر الإسلامية ، بينما كان أحمد سعد زايد ينظر لها من منظور (الآخر) ، بحجة

أن الحوار يجب أن يتطرق لكل الآراء ، فيحمل الفكرة الإسلامية وما يناقضها ، بما يثرى العقل النقدى للمتابع ، فيكشف له عن كل الأفكار ، ليختار منها ما يناسبه .

فكان أحمد سعد زايد يقرر دائماً بأنه يقف على مسافات متساوية مع كل الأطروحات ، لكن فى الوقت ذاته تراه يطرح الأفكار المناهضة للفكرة الإسلامية ، ويسترسل فى شرحها والعرض لها بطريقة تفصيلية ، وكأنه يتبناها.

كان هذا الغموض المودع فى تلك الشخصية ، هو نفسه طريقة منهجية فى ضرب كل ما هو إسلامى ، عن طريق عرض المخالف له والتعويل عليه ، فى محاولة لمحو القداسة عن النص فى نفس المسلم ، والتسليم تدريجياً بنسبية الحقائق ، وكأن مهمة الرجل هى أن يزرع بذور الشك ، التى سيرويها المسلم بعد ذلك ، لتنمو بداخله ، ويزهر نباتها ، ويشتد على سوقه ، فإذا أينع ، وحان وقت حصاده ، ترك فى تربته بذوراً لنبات آخر ، فتتسع الرقعة وتزدهر ، ويرعى الإلحاد فى مناطق واسعة .

فليس غريباً إذاً أن يتولى أحمد سعد زايد مقولته التى يرددها فى كل المناسبات : دينك هو أسطورة الآخر ، ودين الآخر هو اسطورتك ، وربط الدين بالاسطورة هو دلالة على ضرب مقتضيات الوحى ، والنزول به إلى هاوية الخرافات التى يتناقلها البشر ، وكأنها إشارة إلى أنه صناعة بشرية ، لا ترتبط بالسماء ، فلا قداسة لرسالة السماء ، وإنما القدسية تنبع من (دين الإنسانية) الدين الجديد الذى يجب أن يدين به كل إنسان ، الدين الذى إلهه (الهوى) ، وكتابه المنزل هو (الحريات) ، وكأن الله الذى نزل دينه بالحق ، ووهب للإنسان حرية الإختيار ، قد غفل – سبحانه – عن قضية الحرية ، ووعى لها أحمد سعد زايد !!

هكذا كفر الرجل بما أنزل على محمد وعلى غيره من الرسل ، وإن لم يكن قد صرح بكفره البواح ، وظن أنه دعواه للحريات والتسامح ستغطى ما بداخله من خبث ، فالله مبدى ما يكتمه ، فلم يفلح الرجل فى التستر عما بداخله ، وجاءت النذر تحذر من مغبة الإقتداء به أو الإستماع لدسائسه ، والكشف عن نواياه الخبيثة .

هذا ولم تنته رحلة البحث بعد، يبدو أنها ستكشف المكنونات، وتفصح عن كثير فى المحطات القادمة......


حقيقة الزمن
بقلم: وائل مجدي
تصميم: غيث وليد

حقيقة الزمن

هل تساءلت يوما عن مفهوم الزمن ؟ هل تساءلت عن ماهيته ؟ هل تعتقد أن الزمن حقيقة مطلقة؟

قد يكون المفهوم الذى يتبادر لذهنك عن الزمن ، هو مجموع ال ٢٤ ساعة التى تعرف بيوم الأرض ، ولكن ذلك المفهوم لم يلبث أن يتلاشى ويفقد قيمته ، حينما تدرك أن اليوم على كوكب زحل لا يتعدى ال ١٠ ساعات ، وأن اليوم على الأرض يختلف بالزيادة والنقصان عن باقى كواكب مجموعتنا الشمسية .

فى الحقيقة لم اعرف غموضا قد يحيط بشئ ، مثلما يحيط بالزمن وماهيته ..

ويبدو أنه لا وجود لحقيقة زمنية ، فالحكم نسبى ، وفرضية وجود زمن واحد للكون أصبحت فارغة المضمون ، عارية تماما من الصحة ، وذلك لاتساع الكون الشديد ، على أن الكون يتحرك ، وليس ساكنا كما ادعت النظريات القديمة .

ولكن لكى نحاول الاقتراب أكثر من مفهوم الزمن ، ومحاولة فهم ملابساته لا الإحاطة بها لأن ذلك درب من الخيال ، علينا أن نربط الزمان بالمكان ، فيوم الأرض يختلف عن يوم زحل نتيجة لبعد أو قرب كل منهما عن الشمس ، ومقدار حركة كل منهما فى ذلك المكان ، أضاف أينشتاين البعد الزمنى للمكان كبعد رابع اضافة الى الأبعاد المكانية الثلاثة : الطول والعرض والارتفاع ، وأوضح أنه لا يمكن فصل الزمان عن المكان ، فيما عرف بالزمكان ، فالفكرة الرئيسية لنظرية أينشتاين (النظرية النسبية) تكمن فى أن الحركة خلال المكان تؤثر على الزمن . وقد قام العلماء فى عام ١٩٧١ بتجربة عملية ، حيث أطلقوا صاروخا إلى الفضاء ووضعت فيه ساعة ذرية ، ونفس الساعة بنفس المواصفات كانت على الأرض ، وتمت مراقبة دقات عقارب الساعتين ، فكانت النتيجة هى تأخر دقات الساعة التى على متن الصاروخ عن مثيلتها فى الأرض ، بفارق وافق تماما قانون النسبية الذى وضعه أينشتاين ، وتأكد فعلا أن مقدارالحركة(السرعة) فى المكان يؤثر على الزمن ، فزيادة السرعة تعمل على ابطاء الزمن بفارق يمكن حسابه .

وأعتقد أن اثبات فكرة تباطؤ الزمن بما لا يدع مجالا للشك ، زاد من الأمور تعقيدا فيما يخص مفهوم الزمن ، وجعله أكثر ابهاما وغموضا ، فمثلا عندما تعرف أن ضوء الشمس يستغرق حوالى ٨ دقائق حتى يصل إلينا ، نتساءل هل ما نراه قبل مرور تلك الدقائق حقيقيا ؟ وهل يجعلنا ذلك نشك فى حقيقة الزمن ؟ هل زمننا زمنا وهميا ؟

فى الحقيقة لا نستطيع تفسير ذلك الغموض ، وكل ما نستطيع قوله أن الزمن يتباطأ نتيجة لانحراف الضوء أو انحنائه حول الأجسام بفعل الجاذبية ، وكلما كانت كتلة الجسم كبيرة ،كلما زادت جاذبيته ، مما يؤدى لانحناء الضوء حوله فيتباطأ الزمن ، وتلك الفكرة وضحها أينشتاين ، ودحض بذلك نظرية اسحاق نيوتن ، حيث قال نيوتن باستواء الكون ، وبذلك فإن الضوء يسير بطريقة مستقيمة ، وبالتالى فإن الكون سيكون له زمن واحد .. بينما أكد أينشتاين أن الكون غير مستوى ، وبأن كل خطوط الكون منحنية ، وبالطبع قدم أينشتاين قدم كل المعادلات وصاغ القوانين ، التى ثبتت صحتها بالدليل القاطع .

ثم بدأت المحاولات لاستغلال فكرة تباطؤ الزمن ، فتباطؤ الزمن يعنى أنك إذا حصلت على نسبة كبيرة من هذا التباطؤ فإنك قد تنتقل إلى المستقبل ، ولتوضيح الفكرة نرجع الى التجربة التى أجراها العلماء ، حينما أطلقوا صاروخا إلى الفضاء على متنه ساعة ذرية دقيقة جدا ، وبمقارنتها بساعة مطابقة لها تماما على الأرض ، حصل العلماء على نسبة تباطؤ زمنى للساعة التى على متن الصاروخ ، ولكن النسبة كانت ضئيلة ، فلو افترضنا أننا توصلنا لتقنيات معينة من شأنها أن تزيد نسبة التباطؤ إلى درجة كبيرة ، فسننتقل حتما إلى مرحلة زمنية أخرى وهى المستقبل ، بمعنى أنك ستسافر عبر الزمن ، وعلى الجانب الآخر أكد أينشتاين أنه لو تمكنا من السفر بسرعة تساوى سرعة الضوء لانتقلنا إلى الماضى .

وهنا بدأت الأبحاث ، وبدأ شغف لا ينتهى نحو فكرة السفر عبر الزمن ، وتصميم آلة لتحقيق ذلك .. مع العلم أن أينشتاين أكد من جانبه أنه لا يمكن الوصول لسرعة تساوى سرعة الضوء ، ولكن هذا لم يمنع العلماء من الشغف التام والفضول القاتل نحو تلك المسألة .

والسؤال الآن : هل السفر عبر الزمن شئ ممكن ؟؟

– الجواب : السفر عبر الزمن من الناحية النظرية شئ ممكن ، وحسب المعادلات فإنه يمكنك الانتقال إلى الماضى إذا تمكنت من السفر بسرعة تساوى سرعة الضوء ، بينما تستطيع الوصول لمحطة المستقبل إن تجاوزت تلك السرعة .. ولكن هل استطاع العلماء مع التقدم العلمى والتكنولوجى المتزايد يوما تلو الآخر السفر عبر الزمن ؟؟

والحقيقة ، لا لم يستطع أيا منهم منذ ولادة الفكرة ،وحتى يومنا هذا القيام بذلك ، ربما للسبب الذى أوضحه أينشتاين فى حياته ، حيث شكك من قدرة العلم فى امكانية السفر بسرعة تساوى سرعة الضوء ، لأنه فى حين الوصول لسرعة تساوى سرعة الضوء ستزيد كتلة الأجسام إلى كتلة لا متناهية ، وهذه الفرضية مستحيلة ، فليس هناك كتلة مطلقة ، ولكن شغف العلماء جعلهم مستمرين فى إجراء تجاربهم حتى اليوم ، متعللين أنه ربما مع التقدم العلمى المستمر ، ربما يتسنى لهم الوصول يوما لسرعة تساوى سرعة الضوء ، وربما قد يتجاوزونها .

على أن الفلاسفة كان لهم رأى يميل للمنطقية فى تلك التطلعات ، وطرحوا سؤالهم : إن كانت لديكم تلك التطلعات نحو السفر عبر الزمن ، متعللين بالتقدم التواصل والمستمر للعلم ، فلماذا لم يسافر إلينا أناس من المستقبل ، وهم بالتأكيد يمتلكون حضارة ومقومات علمية أعظم بكثير مما نمتلك نحن ؟؟

ولم يكتف الفلاسفة بذلك ، وإنما كان سؤالهم الآخر ، لو أمكنكم السفر إلى الماضى ، هل تستطيعون تغييره ؟؟ وضربوا مثالا أطلق عليه (مفارقة الجد) ، والمثال يقتضى أنه إذا سافر شخص إلى الماضى وقام بقتل جده فلن يكون لأبيه وجود ، إذا لن يكون بدوره هو الآخر له وجود ، وهذا ما يجعل فكرة السفر عبر الزمن فكرة سخيفة .. وهكذا توالت المفارقات بين الفلاسفة ورجال الدين من جهة والعلماء من جهة أخرى .


قضية الشفاعة
(محاولة للفهم)
بقلم: وائل مجدي
تصميم: غيث وليد

قضية الشفاعة

فى حياتنا الدنيا قد يقترف أحدهم ذنبا ، فيقوم الحاكم بتقدير عقوبته بعدما ينظر فى أمره ، وقد يبحث الذى نزلت به العقوبة عن شخص ذو سمعة طيبة ، أو يحتل مكانة رفيعة ، أو ربما تربطه علاقات طيبة بالحاكم ليشفع له عنده .

فلو أن الحاكم قد ألغى العقوبة ، لاعتبرنا ذلك نوعا من المحاباة والمجاملة ودل ذلك على فساد الحاكم ، أما لو قدر الحاكم دية يفتدى بها المذنب نفسه نظير جرمه ، لاعتبرنا ذلك مقبولا ..
والسؤال إذا كان ذلك يحدث فى المحاكم الدنيوية فأنى له أن يحدث فى الآخرة حيث لا محاباة ولا مجاملات ولا يدفع عن العبد ذنبه إلا عمله الصالح ؟؟

– والجواب : أن الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده ، وهو يسمح بالشفاعة من باب تلك الرحمة ، والشفاعة فى الآخرة ليست محاباة أو مجاملة ، وإنما تكريم لصاحبها ، ولكن الشفاعة أمر إلهى ، فهو يقبل الشفاعة أو يردها وهو فعال لما يريد .

على أن الله لا يقبل شفاعة الشافعين فى الكفار أو المشركين ، وانما قد يقبلها فى العصاة أو المذنبون من أهل التوحيد .

ونحو ما سبق كم تمنيت أن أضع بين يديكم مناقشة لكتاب ربما مر عليه ما يقارب العشرون عاماً ، وقد كان سببا فى لغط وجدل فى الأوساط الدينية ، أو حتى على مستوى غير المتخصصين ، لما يلمس من قضية هامة تمس كل مسلم ألا وهى قضية الشفاعة .

الكتاب للدكتور / مصطفى محمود بعنوان (الشفاعة محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين) ، وهى محاولة لتقدير الأمر وصفها د / مصطفى محمود فى صدر كتابه بقوله : " ما أقدمه فى هذا الكتاب هو (محاولة لفهم) واجتهاد قد يصيب وقد يخطئ ، ولا أدعى لنفسى كمالا

ولا عصمة وأرى أن من حق كل قارئ أن يختلف معى وأن يفهم القضية على طريقته ، فقد خلقنا الله أحرارا وأرادنا أن نتدبر آياته ونتفهم قرآنه كل على قدر طاقته .والله وحده هو صاحب العلم الكامل ورضاه سبحانه هو منتهى رجائنا ، وغاية غاياتنا أن نسجد ونقترب " .

والكتاب فى مجمله يتعرض لقضية الشفاعة ، ويرى أنها من الاشكاليات القديمة ، وأساس تلك الاشكالية أن القرآن ينفى فى الكثير من آياته المحكمة الشفاعة نفيا مطلقا ، وفى آيات أخرى يذكرها مقيدة ومشروطة بالإذن الالهى .

وأن السنة النبوية تروى أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) سيقف شفيعا لأمته من أهل الذنوب والكبائر يوم القيامة ، وهذا ما يستنكره بشدة د/ مصطفى محمود ، إلى درجة أنه يشكك فى صحة الحديث الذى يخبر بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولو زنا ولو سرق ، ويشير إلى أن هذا هراء فالمنافق قد ينطق لسانه ب (لا إله إلا الله) ولكن لا يطبقها قلبه ، ولا تعمل لها جوارحه .. وهنا يدعو إلى فهم السيرة النبوية من خلال القرآن ، فما اختلف منها مع النص القرآنى فيجب استبعاده ويرى أن فى هذا الحديث دعوة للإتكالية ، فهو يكاد يجزم أن أصحاب الكبائر من عصاة المسلمين الذين ماتوا دون توبة بأنهم لن يخرجوا من النار ، كما يختلف مع المفسرين بأن (المقام المحمود) الذى وعد الله به رسوله أنه هو مقام (الشفاعة) وهو هنا يفسح المجال للقارئ ليختار موقعه .

وأرى أن د/ مصطفى محمود قد أخطأ فى محاولته للفهم ، وبهذا فتقديره للأمور لم يكن صحيحا ، ولا أرى أن ذلك الحديث النبوى الذى استند عليه يتعارض مع النص القرآنى ، وطالما أن الأساس خطأ ، فلا بد وأن يأتى البناء مشوها ، وبذلك يصبح عرضة للسقوط .

غير أنى لا يمكننى تجاهل تلك الدعوة للإيجابية ، وعدم الارتكان على الاتكالية ، والمبادرة بالعمل الصالح ، والتوبة من الذنوب قبل الموت ، وهى كلها أمور طيبة يستشفها القارئ ، وتعبر عن نية الكاتب الصادقة ، وإن كان قد أخطأ فى اجتهاده ، ولم تصب محاولته.

فيما سبق عرضنا موجزا لفكرة كتاب الشفاعة للدكتور مصطفى محمود ، وأوضحنا أنه اعتمد فى تفنيد فكرته على حجج رأينا أنه يشوبها النقص ، والسؤال الآن : هل أنكر د/مصطفى محمود الشفاعة ؟؟

– فى حقيقة الأمر فإنه من خلال القراءة الموضوعية والمتأنية للكتاب ، نجد أن د / مصطفى محمود لم ينكر مسألة الشفاعة ، ولكنه حاول فهمها على طريقته الخاصة فنراه يقول : (ونحن ما أنكرنا الشفاعة ، وإنما حاولنا أن نخرجها من المفهوم السوقى الذى يشيع فى الشفاعات والوساطات الدنيوية ، وأيناها مشروطة بالإذن الالهى ، ورآها شيخ الاسلام ابن تيمية دعاء يدعوه النبى فيستجيبه المولى ، ورآها غيره توسلا وابتهالا لتخفيف أهوال المحشر .. ولم ير فيها أحد من المفسرين رجوعا للمولى عن حكمه من أجل الشافع فهذا محال فى حق الله ، وإنما رآها المؤمنون بها تشريفا للشافع ورحمة ثابتة فى علم الله القديم)

وهو فى ما سبق يحاول أن يأصل لفكرة الاختلاف فى محاولة فهم الشفاعة ، فربما رآها بطريقة تختلف عن الآخرون ، وأن الآخرون أنفسهم ربما رآها كل على حسب تقديره للمسألة ، ولكن لكى يزول اللبث ويرتفع الغموض دعونا نقترب من محاولة الدكتور مصطفى محمود لفهم مسألة الشفاعة حيث يقول : (والله ينكر على رسوله أن يقول مثل هذا الكلام عن أهل النار ممن حقت عليهم كلمة العذاب من كفار أو مسلمين ، كما ينكر الخروج من النار على من كتب عليهم بدخولها ، فكل من يدخل النار تتأبد إقامته فيها ، ولا يوجد فى القرآن حكاية التعذيب لأجل محدود فى جهنم)

وهنا تتضح جليا الفكرة الرئيسية التى دار حولها كتابة ، وهى أن الشفاعة لا يمكن أن تطال أهل النار من عصاة المسلمين ، أو المذنين أو أصحاب الكبائر منهم .

وأن هذا لا يصح فى حق الذات الالهية أن تقبل الشفاعة فى مثل هؤلاء ، وأن من دخل منهم النار فمصيره مصير الكفار من أهل جهنم ، حيث تأبد بهم النار ، ولا يخرجون منها أبدا .

وعلى ذلك فإن مرويات الأحاديث من أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقف شفيعا لأهل الكبائر من أمته ، هى محض افتراء ، وهى تتناقض تماما مع الثوابت القرآنية ، ولذا فهى مشكوك فى صحتها ، وربما كانت من الاسرائيليات التى تملأ كتب السيرة على حد تعبيره .

هذا وقد استشهد د/ مصطفى محمود ببعض الآيات القرآنية التى يرى أنها يراها تنطبق على عصاة المسلمين كما تنطبق على الكفار مثل :

(وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

(وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

وهذه بالطبع نظرة سطحية لآيات القرآن ، وكان يجب على الدكتور مصطفى محمود أن ينظر لآيات القرآن كوحدة متكاملة ، حتى يصدر حكما موضوعيا ، وألا يأخذ ببعض آيات الذكر الحكيم ، ويتغافل عن الآخر ، وآيات القرآن لا تتعارض ، وإنما يرتبط بعضها بالآخر ، ولكى أوضح الفكرة سأضع بين يديكم تلك الآيات :

١-(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)

٢–(وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ)

٣–(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ)

* والاستثناءات موجودة دائما ، والله يفعل ما يريد بما تقتضيه حكمته وعلمه الأزلى ، ويجب أن تحمل هذه الاستثناءات على كل الآيات التى تتناول مسألة الخلود فى النار ، ولكنها بالطبع لا تطال الكافرين أو المشركين ، وإنما تطال أهل التوحيد من أصحاب المعاصى والذنوب والكبائر ، ولكن بالطبع تلك الاستثناءات خاضعة للمشيئة الالهية ، فهو يختار من يشاء ، وتطال رحمته من يشاء ، وهو أعلم بعباده .

والجدير بالذكر أن الآيات فى (١) و (٣) تستثنى أهل التوحيد من الخلود فى النار ، أما بالنسبة ل (٢) فنرى أنها تؤكد على أن أصحاب الذنوب والمعاصى من أهل التوحيد ، إنما يخرجون من النار بعد فترة من العذاب يحددها سبحانه وتعالى لمن يشاء ، ليدخلوا بدورهم الجنة ، وبذلك فإن الاستثناء قد يفهم بمعنى انتقاص من فترة الخلود مقارنة بمن دخلوا الجنة فور الحساب .

وطالما أن الآيات تؤكد على أن هناك أناسا سيخرجون من النار بعد تلقى العذاب لدخول الجنة ، فما الداعى من استنكار شفاعة النبى محمد صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكبائر من أمته ، وأين التناقض إذا بين مرويات الأحاديث والثوابت القرآنية .


بين العلية والمشيئة الالهية
بقلم: وائل مجدي
تصميم : غيث وليد

بين العلية والمشيئة الالهية

أحيانا قد يتساءل العقل البشرى : هل لكل شئ علة ؟؟ هل لكل حادثة علة ؟؟ أم أنه توجد حوادث وأشياء لا علة لها ؟؟

وإن كانت توجد أشياء وحوادث بلا علل فهل ننادى بالصدفة ؟؟

وهل تعنى الصدفة حينئذ العبث والغموض واللا

قانون؟؟

وإن قلنا نعم فقد وقعنا فى حيرة كبرى ، لأن العلماء بوجه عام يصادرون على أن خضوع العالم الطبيعى للقوانين هو أهم ما يميزه .

وحقيقة الأمر أن القرآن الكريم لم يدع أى مجال للصدفة ، وأقرت الآيات بالقوانين الكونية التى وضعها الله سبحانه وتعالى والتى يخضع لها العالم ، فتنتظم حركته ويدور كل فى فلكه الذى قدره له الاله ، أما العشوائية والصدفة التى نادى بها بعض البلهاء ، فقد كذبها الدين ونبذها العلم .

وفى القرآن الكريم يؤكد ربنا سبحانه وتعالى على حقيقة الدقة الكونية التى تخضع للقوانين فيقول : (إنا كل شئ خلقناه بقدر) القمر : ٤٩

تلك القوانين التى تحكم المادة ساعدت العلماء الذين استطاعوا أن يستنبطوا قدرا ضئيلا منها – حيث لم يتجاوز فى حسابات بعضهم نسبة الـ (٥٪) – فى فهم بعض أسرار الكون ومن ثم تقديم خدمات جليلة للبشرية جمعاء .

ولكن الأمر الذى طرحه البعض ، لم يكن اعتراضا على وجود العلة ، بل إنهم أكدوا على حتميتها ، ولكن اختلفوا فى فهم علاقة العلة بالمعلول ؟؟

، وكان سؤالهم : هل العلاقة بين العلة والمعلول ضرورية أم ممكنة ؟؟

ولتوضيح الأمر نضرب مثالا بالنار (العلة) وخاصية الإحراق (المعلول) ، حيث تقول طائفة أن النار تمتلك خاصية الإحراق ومن شأنها أن تحرق والعملية ضرورية تلازمية ، بينما تفهم طائفة أخرى الأمر على وجه آخر ، حيث تؤكد أن النار لا تمتلك خاصية الإحراق ، على أنهم لا ينكرون تلازم العلة ومعلولها ، ولكن فى إطار المشيئة الإلهية ، فالنار لا تمتلك أى ذاتية ولم تكن لها أية خواص ، وانما المشيئة الالهية المطلقة هى المحرك ، فقد تحرق النار وقد لا تحرق ، فالعملية ممكنة وليست ضرورية .

وهنا ردت الطائفة الأولى موضحة أن خاصية الإحراق ، هى خاصية وضعها سبحانه وتعالى وأكسبها للنار لتقوم بوظيفتها ، وأن الزج بموضوع المشيئة الالهية مرفوض تماما ، حيث لا توجد ثمة تعارض ، فالله أودع النار خاصية الاحراق لتحرق ، وقوانين المادة حتمية ، أما إذا كان هناك خرقا لتلك القوانين الطبيعة ، فذلك ما يسمى بالمعجزة الالهية .

وفى الحقيقة فإن ذاتية المادة لا تنفى أبدا المشيئة الالهية ، لأن الله سبحانه وتعالى أعطاها خواصها ، ومنحها تلك الذاتية لتؤدى دورها المنتظر ، وعندما نطالع آيات القرآن الكريم نكتشف حتمية قوانين تلك المادة التى وضعها الخالق ، حيث قال تعالى (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) يس : ٤٠

تلك القوانين استطعنا نحن البشر التوصل إلى بعضها عن طريق البحث والدراسة ، ومنها ما لم نعرفه بعد ، وجارى البحث عنه والتعرف على ماهيته .

وتدخل الإرادة الالهية لخرق تلك القوانين يسمى إعجازا ، فالمعجزة هى خرق لنواميس الكون ، وهذا ما أرادت أن تنكره الطائفة السالفة الذكر ، حيث رأت أنه لا وجود لأى معجزات ، وانما جهلنا لبعض قوانين الطبيعة ، يجعلنا عاجزين عن إيجاد تفسير لها ، والأمر بالأحرى ثمة قوانين لم نتوصل إليها بعد ، ولم نحط بها علما .

على أن آيات القرآن ساقت لنا دليلا آخر على سوء فهم تلك الطائفة ، حيث يقول المولى عز وجل (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) طه : ٤٠

وهنا نستنبط من جديد أن خصائص وصفات وسلوك المادة قد أعد سلفا من قبل الخالق العظيم ، لتقوم المادة بدورها المنوط بها ، وأى خرق لتلك الآلية ،فهو خارج نطاق القوانين .

وقوانين الطبيعة لا يتسنى لها أن ينتج عنها ناقة من الحجر ،كما كان الحال فى ناقة صالح ، أو أن تستحيل عصاة موسى إلى حية ، فتلك أمور تفوق قوانين الكون التى وضعها سبحانه ، وتتعداها لمعجزات وخوارق أراد بها الخالق خرق قوانين العالم الطبيعى ، وفيها تجليات لعظمته وقدرته .

ومن ثم لا يمكن أن نطلق على هكذا أمور لفظ (القوانين) ..فالقوانين يمكن دراستها والخوض فى تفاصيلها ، والمبهم منها اليوم قد تتوصل إليه الأجيال القادمة .

أما المعجزات والخوارق فهى قاصرة فقط على القدرة الالهية ، ولا يمكن بأى حال التوصل إليها .

المستقبل الغامض

إعداد : وائل مجدي
تصميم : غيث وليد



المستقبل الغامض

يبدو أن وتيرة الأحداث تزداد سخونة ، ولعل آخرها هو فوز المرشح الجمهورى دونالد ترامب برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، ذلك الحدث الذى هز كل الأرجاء السياسية العالمية ، فضلا عن الأجواء الأمريكية ، التى شابها القلق والتوتر ، حيث قامت بعض المظاهرات فى بعض الولايات لتنادى بعدم الاعتراف بترامب رئيسا ، وأن هذا من شأنه أن يؤدى بالبلاد إلى عواقب وخيمة على كل الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن فوز ترامب جاء بعد تنافس قد اشتد وطيسه ، وصولات وجولات مع هنرى كلينتون ، والتى كانت توقعات الفوز تصب فى جانبها ، حتى أن الرئيس السابق أوباما صرح بدعمه لها ، وأعلن من جانبه بأنه فى حال فوز ترامب ستمر البلاد بكارثة حقيقية .

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه ما هو سبب كل هذا القلق المتزايد بشأن فوز ترامب ؟ وهل هذا القلق يأتى على مستوى المؤسسات السياسية أم فقط على المستوى الشعبى؟

وفى الحقيقة هذا القلق قد نلمسه من الطرفين ، فعلى المستوى المؤسساتى ، يرى أصحابه أن ترامب غير مؤهل لشغل أى منصب إدارى ،فضلا عن منصب الرئاسة ، فترامب ذلك الشخص الذى يفتقر للخبرة السياسية ، وحنكة الإدارة ، فهو الملياردير الأمريكى ، الذى تعرض للإفلاس ٤ مرات ، ولكنه إستطاع أن يعود ، وهو ذلك العنصرى ، الذى قد يؤدى تهوره إلى نتائج كارثية ، وهو ذلك الذى سيؤدى إلى انعزال الولايات المتحدة بعد أن كان لها الدور الرائد ،وهذا بسبب سياسته الانعزالية ، فهو أعلن أنه سيهتم بالشأن الداخلى الأمريكى ، ووجه انتقادات شديدة لجورج بوش بسبب حربه فى العراق ،التى كدبت أمريكا الخسائر ، وسياسة أوباما ، حيث يزعم أنه السبب الرئيسى وراء ظهور داعش .

ولا يتسنى لنا ونحن فى صدد الإجابة عن السؤال المطروح ، أن نستعرض بعض التصريحات التى أدلى بها ترامب ، والتى كانت سببا فى كثير من الانتقادات التى وجهت له ، فقد صرح ترامب بأنه سيخلى أمريكا من المهاجرين ، وبأنه سيبنى جدارا بين أمريكا والمكسيك ، ووصفهم بأنهم لصوص

، كما أدلى بأنه سيطرد المسلمين من أمريكا ، لأنه لم يعد يحتمل وجودهم بالبلاد، ولم تعد تحتمل أمريكا شرورهم ، فهم منبع الإرهاب وأصله ، وخاصة فى سوريا ، على أنه وفى وسط تصريحاته أعلن صراحة أن دول الخليج العربى لم تمثل سوى مجموعة من آبار البترول ، وأنها عليها أن تدفع لو أنها تريد الحماية من الولايات المتحدة ، أما عن حلف الأطلسى (الناتو) فيرى ترامب أنه لم تعد أمريكا بحاجة للحلف ، وحاون الدور لتتحمل أوروبا وحدها مسئولية حماية نفسها ، ويكفى أمريكا الاهتمام بشأنها الداخلى .

وعلى ذلك نفهم لما ترفض أغلبية الأوساط المؤسسية ترامب، على أن بعضا منها ساندته ، أما على المستوى الشعبى فنرى انقساما واضحا ، ولعلنا نعرف عدد المهاجرين لأمريكا من أصول مختلفة ، الذين بالطبع يخشون على مستقبلهم فى عصر ترامب ، وكذلك المسلمين الذى أصبحوا فى نظر ترامب مجموعة من الإرهابيين يجب طردهم ، كذلك بعض المواطنين يخشون على المستوى الاقتصادى للولايات المتحدة من جراء سياسات ترامب التى حكموا عليها مسبقا بالفشل .

على أن الجانب الآخر يرى فى ترامب العنصر الإيجابى ، الذى يخاطب شعبه بكل بساطة ، وبكل صراحة ، الذى يسعى للاهتمام بالشأن الداخلى ، بدلا من التطرق لسياسات جرت الولايات المتحدة لحروب لا طائل منها ، غير أنها كبدتها الخسائر فى الأموال والأرواح ، وولدت الأحقاد والضغائن ضد أمريكا .

ويبقى فى الصورة حالة الترقب الحذر من الشرق الأوسط ، الذى أصبح وضعه غامضا فى اللعبة ، بل على العكس أصبحت بعض دوله كما وصفها ترامب بالبقرة التى سيذبحها متى جف حليبها .

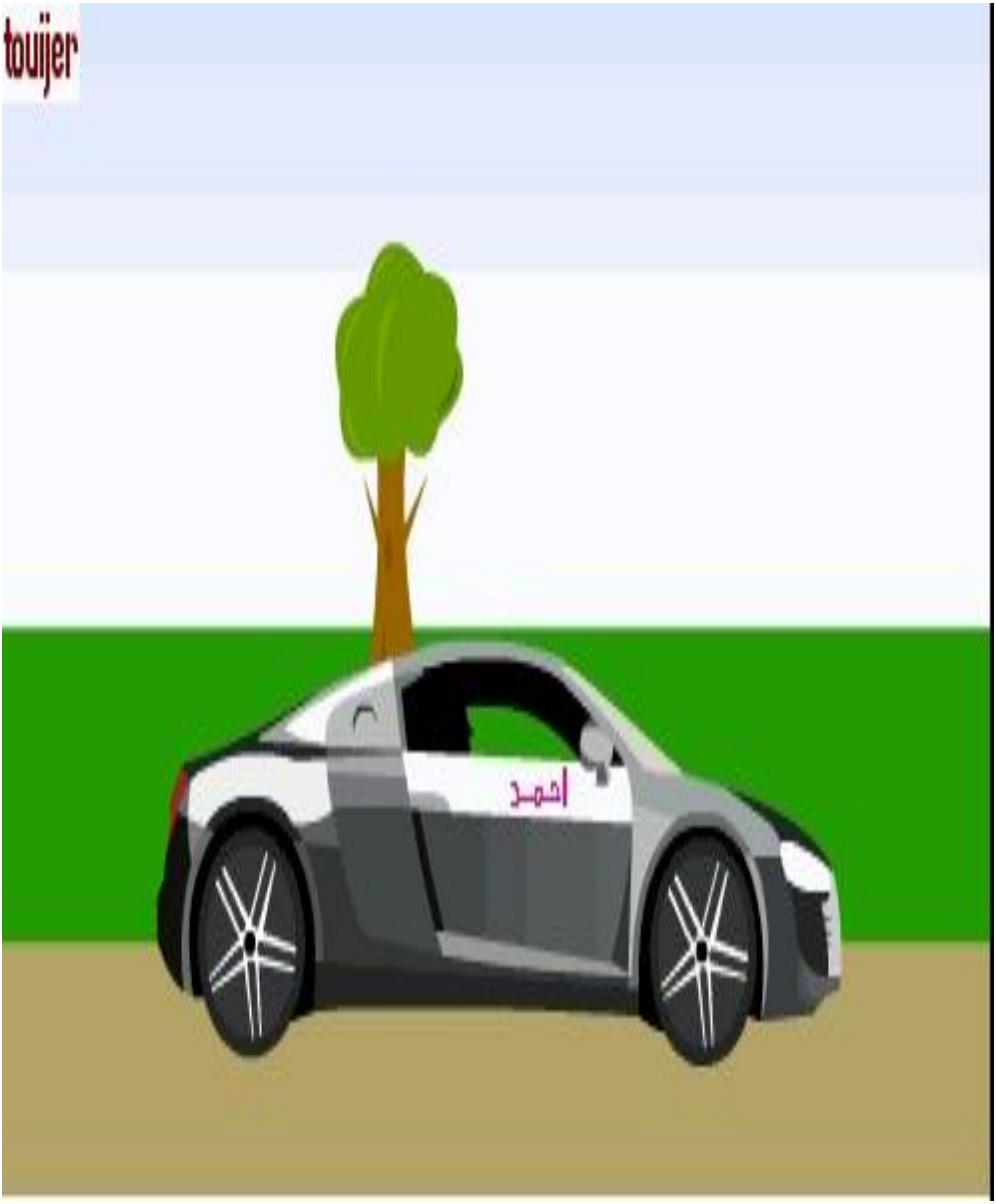
وبنفس الترقب تنتظر أوروبا السياسة الجديدة للولايات المتحدة ، وأشكال التعاون فيما بينهما

فى الواقع يعيش العالم فى هذه الأونة فى حالة من التدهور الاقتصادى تتباين وتيرته من مكان للآخر ، ولعل تلك الظاهرة باتت جلية فى الولايات المتحدة الأمريكية فى السنوات الأخيرة ، وكان لابد من سبيل للخروج من عنق الزجاجة التى كادت تخنق الأجواء داخل أمريكا وخاصة بعد الخسائر

التى تكبدتها بعد الحرب فى أفغانستان وفى العراق ، وأصبحت لديها قناعة أنها غير مستعدة لأية حروب أخرى .

ولكن كان الأمر المقلق بالنسبة للأمريكان ، هو ذلك النمو المتصاعد للصين ، والتى أصبحت الآن بالفعل عملاقا فى السوق العالمية ،حتى أصبحت منتجاته تغزو السوق الأمريكى نفسه ، بل وأصبحت دائنا للولايات المتحدة ، على أن أمرا آخر كان خطيرا بما يكفى ليثير حفيظة الأمريكان ، ففى الوقت الذى اضطرت فيه أمريكا لتقليل ميزانية الجيش فى عهد أوباما ، ترفع روسيا من الميزانية المخصصة للجيش بشكل ملحوظ ، وكان لابد من إعداد خطة مستقبلية من شأنها أن تخفف من وطأة تراجع الاقتصاد الأمريكى عن طريق توفير موارد جديدة تستخدم فى سد العجز الواضح .

وبالطبع لم ترى أمريكا ضالتها إلا فى الشرق الأوسط ، فبدأت تسعى حثيثا لبناء شرق أوسط جديد ، يخدم مصالحها بالطريقة التى تناسبها ، ومن هنا جاءت فكرة ثورات الربيع العربى ، حيث كان الهدف المعلن هو تطهير الشعوب العربية من الأنظمة الاستبدادية ، أما الهدف الأساسى هو تدمير البنية التحتية والاستيراتيجية ونظام الإدارة والمؤسسات ، وبمعنى أوضح نشر الفوضى فى تلك الدول ، مما يسهل فى إيجاد عملاء لها فيما بعد للتجسس على أسرارها العسكرية والتعرف على نظم الدفاع الصاروخية وغيرها من الأسرار العسكرية ، وبعد هذا يتسنى وبكل سهولة أن تغزو تلك الدول المفككة ، وبأن تغتصب ثرواتها ،مما يساعدها فى إعادة بناء أمريكا القوية التى تستطيع التصدى للعملاقين الروسى والصينى فى أى وقت .. ولكن هل نجحت أمريكا فى إرساء خطة الشرق الأوسط الجديد ؟؟ وهل هذا سيحدث دون تحرك من الدب الروسى ؟؟


touijer
احمد

الحركة والسكون

للوهلة الأولى قد تشعر أن موضوع الحركة والسكون لا يستدعى دراسة أو تأمل ، فعندما تسير على الطريق تستطيع بكل سهولة الحكم على أعمدة الانارة والأشجار على جانبى الطريق بأنها ثابتة (أى فى حالة سكون) ، بينما تلك السيارة التى تسير على الطريق ذاته فهى بالطبع متحركة.

ولكن..هل الأمر يختلف عندما تكون أنت بداخل السيارة ؟ هل سيتغير حكمك ؟؟

– قطعا ،ستختلف الأمور ، فعندما تستقل السيارة ، سترى أن أعمدة الانارة والأشجار تتحرك ، والمفارقة أنك داخل السيارة ،سترى مقاعد السيارة ساكنة لا تتحرك ، فى حين أنك كنت ترى السيارة بكل محتوياتها تتحرك وأنت على الطريق..

فإذا كنت أنت قد راقبت كل هذه الأجسام (أعمدة الانارة ،الأشجار، السيارة..) ،فلماذا يختلف حكمك عليها من مرة لأخرى ؟؟ وهل يمكن أن يكون لجسم واحد صفة الحركة والسكون ؟؟

ثم أن الأمثلة السابقة ، تدل على أنه ليس هناك سكون مطلق أو حركة مطلقة .. فهل هناك مرجع ثابت من نتعرف من خلاله على حركة الأجسام؟؟

–ويبدو أنه لا وجود لجسم ساكن فى الكون ، فالكون كله فى حركة مصطخبة ..ولكن..لماذا نرى بعض الأجسام ساكنة لا تتحرك؟؟

–والواقع أننا نرى الأجسام متحركة إذا تغيرت مسافة الجسم مع الزمن ، وإذا لم تتغير تلك المسافة فنرى الجسم ساكنا . أما عن حقيقة الأمر فإن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس ، وتدور معها كل الأجسام الموجودة فوق سطحها ، وكل ما هنالك أن حالة السكون التى نرصدها ما هى

إلا تساوى سرعة حركة مقدار الأجسام إلى الزمن ، وهذا ما يجعلك فى هذه الحالة ترى الأشجار أو أعمدة الانارة ساكنة ، لأنها تتحرك بنفس السرعة التى تتحرك بها أنت وهى سرعة دوران الأرض ، ولذلك لا تشعر بحركتها ..وعليه فنحن لا نلاحظ الا مقدار الزيادة لحركتنا بالنسبة للأجسام الأخرى ، وهذا يقع حينما نركب السيارة .

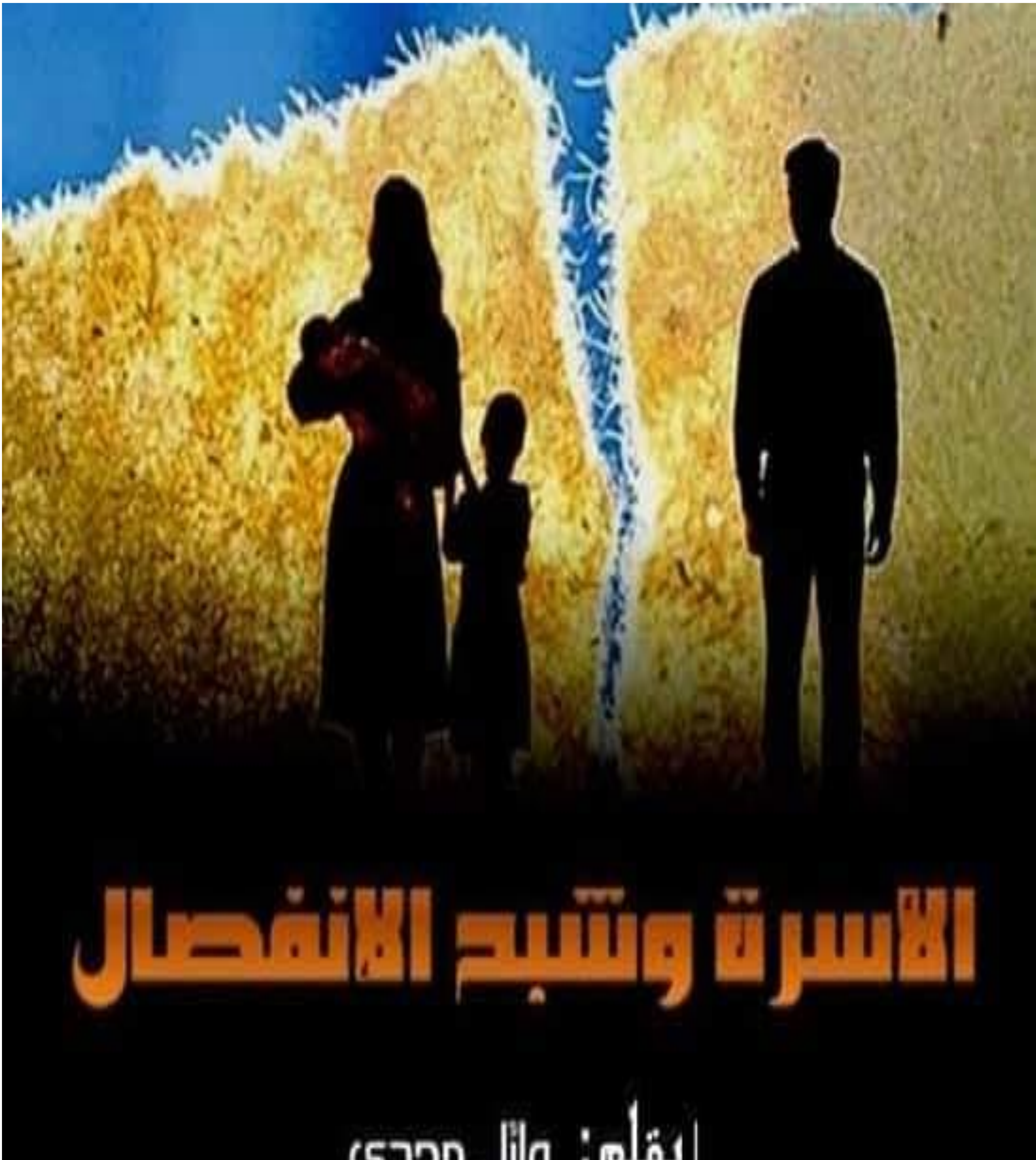
والواقع بأن الحقيقة التى تقول بأنه لا وجود لجسم ثابت فى الكون ، لم تغفل الآيات القرآنية عن ذكرها منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة ، وستعلم هذا عندما تطالع تلك الآية { وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ انه خبير بما تفعلون} .

ولكن السؤال : هل يمكن قياس حركة الأجسام أو سكونها ؟؟

– وفى الحقيقة قياس حركة الأجسام أو سكونها ، يحتاج إلى رصيف ثابت للملاحظة ، وبدون وجود هذا المرجع الثابت لا يمكن معرفة الحركة من السكون ، ولكن ليس هناك وجود لرصيف أو مرجع ثابت فى الكون ، والكون كله فى حركة مستمرة ، ولهذا يستحيل قياس الحركة الحقيقية أو المطلقة وكذلك السكون ، وكل ما نستطيع قياسه هى الحركة النسبية (حركة جسم بالنسبة لآخر).

وفى هذا الصدد كتب د/ مصطفى محمود فى كتابه (أينشتين والنسبية) : [وقد تعب نيوتن من مشكلة البحث عن الحركة الحقيقية ، وظل يتخبط من حركة نسبية إلى حركة نسبية ، فحاول الخروج من المشكلة بافتراض أن هناك جسما ساكنا تماما يوجد فى مكان غير معروف ، تقاس به الحركة الحقيقية ، ثم عاد واعترف بعجزه عن البرهنة على وجود هذا الجسم الثابت ، واعتبر أن الجسم الثابت هو الفضاء نفسه، واستمر على هذه العقيدة بدوافع دينية ، قائلا أن الفضاء يدل على وجود الله ، ولم تنفع هذه الدروشة بالطبع] .

وقد أطلق العلماء على هذا الجسم الثابت (المزعوم) اسم (الأثير) .. ولكن سقطت نظرية الأثير ، وكان رأى أينشتين أنها خرافة ، وحسب د/مصطفى محمود فى كتابه (أينشتين والنسبية) : [أما أينشتين فكان رأيه فى المشكلة أن وجود الأثير خرافة لا وجود لها ، وأنه لا يوجد وسط ثابت ، ولا مرجع ثابت فى الدنيا ، وأن الدنيا كلها فى حركة مصطخبة] .


الاسرة وتشيد الانفصال
بقلم: وائل مجدي

الأسرة وشبح الإنفصال

فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، نولى إهتماماً ملحوظاً بالأسرة ودورها فى إنتاج مجتمع متماسك ، حيث نرى أنها الرباط المقدس الذى يمسك بحبات العقد ، ويحافظ على نظمها واصطفافها جنباً إلى جنب ، لذا يجب الحفاظ عليه متيناً ، وإلا انفرطت حبات العقد ، وصار المجتمع متخبطاً بلا نظام ، منفلتاً دون قيم ، مشوهاً فاقداً لهويته ، أهوجاً بلا مركزية ، هشاً يمكن تمرير الأفكار والاطروحات الدخيلة من خلاله بكل سهولة .

ذلك أن الأسرة هى الممرر الأول للمشروع الدينى الاخلاقى القيمى وسط أفرادها ، وإنهيارها يعنى إنهيار تلك المنظومة ، الأمر الذى يخلق مرتعاً خصباً لتقبل كل المشروعات الغير سوية ، وإبدال الثوابت بأمور أخرى فضفاضة ، تتسع لكل المناهج ، وتميع الأصول .

ويبدو أن الثوب الجديد ، الذى تمت حياكته خصيصاً للأسرة المسلمة ، بطريقة تعمد فيها الرجل الغربى إبراز مفاتن الحضارة الغربية المادية ، وإبراز تضاريسها وقسماتها ، قد لاقى نوعاً من الإنجذاب من الأسرة الإسلامية ، فارتدت هذا الثوب ، وتخلت عن ثوب هويتها ، الأمر الذى أدى إلى تخليها عن مشروعها المنوط بها ، فتقلصت قدسية ذلك الرباط المقدس ، واصبح ذلك الرباط هشاً ، تعصف به صغار المسائل ، وتنال منه أقل الخلافات .

أصبح شبح الإنفصال الذى يطارد كثيراً من الأسر حديثة العهد بالزواج أمراً واقعاً ، ذلك أن السنوات الأولى من الزواج ، تكشف واقع كل من الزوجين أمام الآخر ، وتتضح المعالم الفارقة والمميزة لشخصية كل منهما ، وتندثر مظاهر التجمل ، وتنزوى فكرة المجاملات المفرطة ، ليعلن اللب الداخلى الظهور وبقوة .

وهنا قد تطفو على سطح العلاقة الزوجية بعض الندوب ، التى ترسم أطر حياة واقعية ، بعيداً عن الخيالات التى أشربت للزوجين حديثى العهد ، عبر قنوات مجتمعية معدة سلفاً لخلق حالة من تزييف الوعى ، ونقل الفرد من حالة الواقع إلى حالة اللاواقع ،ربما قد يكون ذلك متوفراً فى : السينيما ، الدراما ، المسرح، الأغانى ، الروايات ، بعض الأنشطة كالنسوية وغيرها من الأفكار الشاذة الدخيلة على هويتنا الإسلامية .

هذه المشاكل التى تواجه السنوات الأولى فى الزواج ، والتى قد تطيح بأمن واستقرار الأسرة ، يمكننا أن نرصد بعض اسبابها على سبيل المثال لا الحصر فى بعض النقاط مثل :

- **توهم المثالية فى الزواج .**
- **توسيع دائرة الخلافات بين الزوجين لتشمل نطاق الأهل .**
- **الأفكار النسوية ، التى سخرت فى الأصل لإفشال العلاقة الزوجية .**
- **الضغوط المادية التى يفرضها واقع الحياة .**
- **الفجوة المعرفية والثقافية بين الزوجين .**
- **العناد ولهجة التكبر .**
- **العلاقات العاطفية قبل الزواج .**

فى الحقيقة عدم توفير حلول متزنة ودائمة ، لهذه المشاكل الزوجية وأسبابها ، والتى تناولنا أمثلة منها ، قد يسبب حالة من التصحر ، ويؤدى إلى مرحلة من الجفاف النفسى والمعنوى ، ويجعل البيوت هشة ،كبيوت العنكبوت ، ويصبح الإنفصال نتيجة طبيعية مطروحة أمام الزوجين .


مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

وقفات تأملية مع آيات قرآنية

الدعوة إلى الله فن يمتلكه القليل ، بالرغم من كثرة الدعاة. وقد عمد القرآن الكريم فى محكم آياته إلى تحديد الملامح العامة لمنهج الدعوة إلى الله ، فقال تعالى { وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين}.

وقوله (ادع) أى دل الناس وأرشدهم ، و{ إلى سبيل الله} ، أى أنك ستدعو من حاد عن ذلك السبيل ، وترك المنهج ، وتعينه على العودة إلى ذلك السبيل ، وبما أنه قد ابتعد عن ذلك السبيل ، وترك الاستقامة فإن دعوتك إياه لابد أن تركن إلى (الحكمة) : والحكمة هى وضع الشئ فى نصابه ، فذلك الشخص قد تعود على المعاصى ، وصارت لديه عادة ، فإن لم تكن تمتلك أنت الحكمة ، فلربما رفض دعوتك وزاد فى عناده وإصراره ، ولذلك رسمت الآية شكل الموعظة ، وحددت لها وصفا فلابد أن تكون الموعظة (حسنة) ، فلربما قدم شخص النصيحة ، ولكن بشكل ثقيل ، يؤذى المشاعر ، بحجة أنه يريد النجاة لمن يعصى ، وهنا نقول له لقد خالفت تعاليم الاسلام فى إبداء النصيحة ، أو تقديم الموعظة ، لأن الدعوة لابد أن تنطوى على التلطف فى إبداء الحكم الصحيح، ولكن إن صارت الأمور إلى الجدل واحتدمت إلى المناقشة ومقارعة الحجج ، فعليك أن تجادل { بالتى هى أحسن} .. وهنا قال بعض مفكرى الاسلام أن أساليب الدعوة فى الآية قد تعددت من الحكمة إلى الموعظة الحسنة إلى الجدال ؛ وفى ذلك إشارة لتصنيف البشر ، فمنهم من تجب دعوته بالحكمة ، ومنهم من يحتاج إلى موعظة حسنة ، ومنهم من لم تستطع دعوته إلا إذا كنت تمتلك من الحجج والبرهان وأساليب المنطق ما يعينك على دعوته.. وفى ذلك إشارة ضمنية ثانية لمن يقوم بمهمة الدعوة إلى الله ، أن يكون حصيفا ، لديه مهارة التعامل مع كافة أصناف البشر ، حتى يتمكن من مخاطبة كل واحد منهم بما يناسبه ، وعلى كل الأحوال فإن القرآن الكريم هو الملهم ، ومنه يجب أن نستنبط قضايانا ، وأحكامنا..

عندما تقلب فى صفحات المصحف الشريف، وتصل إلى سورة (الطلاق) ، وتحديدا الآية رقم (١٢) ، والتى تقول : { الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما} ، فقد يصيبك الذهول ، وتنتابك الحيرة ، وتقف عاجزا أمام تلك الصورة القرآنية ، فظاهر الأية يقول أن هناك سبع سماوات يقابلهن سبع أراضين ، أى أنه لكل سماء أرض ، وإن كانت الإشارة إلى وجود سبع سماوات قد تكررت فى القرآن ، ففى تلك الآية هناك إشارة أخرى لوجود سبع أراضين { ومن الأرض مثلهن} ،ولك أن تبحث فى كثير من التفاسير التى لا تزيدك إلا تخبطا وحيرة .

فالآية لن تجد لها تفسيرا شافيا ، فكلها أخبار متواترة ، وعبارات موروثة ، لم تصبو لتفسير دقيق ، ويبدو أن هذا اللغز القرآنى ، لم تكشف عنه الحجب بعد ، والله أعلم متى يتسنى لنا فك طلاسم هذا اللغز .

ولكن دعونا نستعرض جانبا من ذلك الموروث الذى قيل حول هذه الآية ، حيث قيل : " وفى كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق" ، هذا التأويل يفتح آفاقا شاسعة للبحث الجدى ، والخوض المكثف فى تفاصيل وجزئيات ذلك النص القرآنى ، على أنك حتما ستشعر بالصدمة مما قاله ابن عباس عن تلك الأية ، حيث قال " لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم لها " .

ويبدو أن الأمر جلل ، ولكن هل ما لا يمكن أن يتحمله عقل مسلم الجزيرة العربية فى الماضى ،يستطيع تحمله عقل الحاضر الذى جال فى الفضاء ، وهبط على القمر، ويا ترى ما الذى يخفيه ابن عباس رفقا بعقولنا ، ثم ما معنى البحوثات المضنية لعلماء الغرب عن استكشاف حياة على كواكب أخرى غير كوكبنا الأرض.. أعتقد أن المستقبل القادم سيفصح عن الكثير.

استوقفتنى كثيرا الآية رقم (٢٢) من سورة (ق) ، حيث يقول ربنا جل فى علاه { لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد} ، والسؤال : هل تلك الغفلة عن موجود ، أم أن أنها عن أشياء قد حجبت عنا ؟؟

وللإجابة ، دعونا نستعرض الآيات التى سبقت تلك الآية ، وهى مرتبطة بها فى السياق ، حيث يقول جل فى علاه : { وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد * ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد } ، فسكرات الموت تأتى بالموت ، ومن مات فقد قامت قيامته (الصغرى) ،وينتظر القيامة (الكبرى) ، حيث يبعث الموتى للحساب .. ولكن لا أحد من البشر يعلم متى سيموت ، وحتى من مات لا يستطيع أن يرجع فيسرد الأمور التى حدثت له ، ويوم القيامة جعله الله مبهما ، لا نعلم ميعاده .

على أنه لا أحد ينكر الموت ، فهو حقيقة يعلمها الخلق أجمعين ، وانما قد ينكر بعضهم ما بعد الموت ، ويعتقدون أنه ما من بعث ولا حساب ، وأن تلك الأمور لا تعدو الأساطير والخرافات ، وأنه ما من ملائكة رحمة ، ولا ملائكة للعذاب ، ولا تؤول الأمور إلى جنة أو نار ، فما هى إلا الموتة الأولى وبعدها لا شئ ، وإذا كان ذلك منطقهم ، فمن الطبيعى أن تصبح الدنيا هى أكبر همهم ، وهى شغلهم الشاغل ، ولذا فيجب الحصول على أكبر قدر من متاعها وزينتها قبل أن يأتى الموت ، وهذه هى الغفلة ، وهذا هو قصر النظر ، وبما أن تلك الغفلة كانت تغطى أعينهم ، فإن الله سيرفع هذا الغطاء عن تلك الأعين ، فتصبح أعينهم بصيرة ويرون بها كل ما كانوا ينكرون ، وذلك عند موتهم ،أثناء الاحتضار ، ويوم القيامة ، حيث يرون بأعينهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، والصراط ، والجنة والنار ..

وإن كانت تلك الأشياء محجوبة ، لا يراها بشر ، فمنطق هؤلاء أنه كيف نؤمن بأمور لم تراها الأعين ، وهنا تتجلى فكرة الإيمان ، فنحن لا نراها ولكننا نؤمن بها ونصدقها لأن الله أخبرنا بها ، وعندما نموت ، وتكشف الحجب ، وتصبح الأبصار نافذة وحادة ، لن يزيدنا ذلك إلا ايمانا ويقينا ، وفرحا بما وعدنا الله ، وندرك ساعتها أن أعمارنا ما ضاعت هباءا ، وأن صبرنا على مشقات العبادة ، ما راح هدرا .

وهنا ندرك أن الخطاب فى الآية لم يكن للكافر دون المسلم ، وانما كان للجميع ، واللفظ كان صريحا (كل نفس).. على أن بعض التفاسير نسبت الخطاب لرسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، فكان ذو بصر حديد ، يرى ما لا نستطيع أن نراه ، فكان يرى الملائكة والشياطين ، ويوم الاسراء والمعراج رأى من آيات ربه الكبرى ، والبعض يقول أن المعنى أنك يا محمد كنت فى غفلة عن هذا الدين ، فكشفنا عنك غطاءك فرأيت ما كنت فى غفلة عنه.

قد تجد صعوبة فى التعامل مع شخص يخالفك الرأى ، على أنه قد تختلف حدة النقاش فيما بينكم قياسا مع قيمة موضوع النقاش أو الجدل ، ومدى جدية الحوار والغرض منه ، ومدى نضج الشخص الذى تتبادل معه الحوار .

ومهما يكن من أمر ، فلا أعتقد أبدا أنك ستجادل يوما شخصا مثل هذا الذى ذكرته الآيات فى (سورة الشعراء) ، حيث قال : {قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين * وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين} .. انه (فرعون) الذى ادعى بأنه إله ، وعليه فوجب على الجميع طاعته ، وتقديم كل سبل الولاء ، وهو فى ذلك الموقف يخاطب نبى الله(موسى) الذى ذهب اليه ليطلب منه أن يترك بنى اسرائيل يذهبون معه ، بعدما أذاقهم فرعون كل الويلات ، وتفنن فى إنزالهم بشتى ألوان العذاب ، حيث يستعبدهم ويقتل أبنائهم ، وهو الآن يسفه نبى الله موسى ، ويذكره بأنه صاحب فضل عليه ونعمه ، حيث أخذ موسى وليدا ، ورباه واعتنى به ، وأحسن نزله ، حتى بلغ أشده ، ولبث حتى وصل سن الثلاثين ، ثم يربط ذلك بحادثة القتل التى ارتكبها موسى ، حيث قتل أحد رعاياه ، ويستنكر على موسى أن يكون هذا هو مقابل النعمه التى منحه إياها ، والمعروف الذى صنعه من أجله .. ثم فى الأخير تأتى يا موسى وتدعى بأنك نبى مرسل ، فمتى أتتك تلك النبوة ، وهل لقاتل أن يصبح نبيا ؟!!

تلك كانت التصريحات التى أدلى بها فرعون لموسى ، وكان على موسى أن يرد على تلك الاتهامات المنسوبة إليه ، وأن يدرء عن نفسه السوء التى ألقت به تلك التصريحات .

ثم هب أنك فى ذلك الموقف أو ما شابه ، فماذا تصنع ؟؟.. فى الحقيقة رد موسى ردا مقنعا ، مما دعى فرعون ليبحث عن منطق آخر قد ينال به من موسى ..

وقبل أن نتعرض لرد نبى الله (موسى) على (فرعون) ، دعونا أولا ندقق النظر فيما قاله (فرعون) .

فى الحقيقة كلما تأملت فى كلام فرعون رأيته يهدم نظرية ألوهيته التى ادعاها ، فهو بنفسه يقوض ما قد بنى أو رسخ فى عقول قومه ، فمحاولة تفضله على (موسى) بأنه قد رباه فى قصره منذ أن كان وليدا حتى وصل تلك السن – هى فى حد ذاتها محاولة فاشلة ، فكيف لإله يمسك بكل زمام الأمور ، أن يربى عدوه فى بيته ، ويقوم برعايته ، وهل الإله يكون جاهلا بما يجرى ، أو بما ستجرى به المقادير ؟!!

هذا الجهل سمة بشرية ، لا ينبغى أن يكون لإله .

والآن فلنرجع الى رد (موسى) على كلام (فرعون)،

والآيات من سورة الشعراء تعرضه لنا : { قال فعلتها إذا وأنا من الضآلين * ففرت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين * وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل }

وهنا يعرض موسى ملابسات القتل الذى وقع منه ،

فما كان موسى ليتخيل أن مجرد الوكزة التى وكزها للرجل القبطى قد تودى بحياته ، فالقتل لم يكن عن عمد من موسى ، وانما جهل موسى بما سيترتب من أحداث عن فعلته ، ولما علم موسى أنه أصبح مطلوبا عند فرعون وجنوده ليقتل ، انتابه الخوف ، وهرب متوجها إلى (مدين) .

إذا فالقتل الذى وقع من موسى كان عن طريق الخطأ وليس العمد ، ومن يتخيل أنه قد يقضى حياة شخص بمجرد وكزة أو دفعة يدفعه إياها .

ثم يستكمل نبى الله موسى رده على فرعون ، مستنكرا أن يكون تربية فرعون له نعمة يمنها عليه ، فأفضل نعمة لأى طفل أن يتربى فى بيته وسط أبويه ، ولولا قتل فرعون لأبناء بنى إسرائيل ، لتربى موسى فى أحضان والدته ، وما اضطرت هى لوضعه فى صندوق خشبى ثم إلقاءه فى اليم ، ليصل فى النهاية إلى فرعون ، ولكن هكذا أراد الله أن تجرى الأمور .

وحتى لو جاز وصفها بالنعمة ، فهل فى مقابل أن تكرم رجلا أو تحسن إليه ، أن تسئ لباقى قومه أو قبيلته أو عشيرته.. وهل هذا يعد إحسانا

وبعد أن فشل فرعون فى إقامة الحجة على نبى الله موسى فى أول الحوار ، فها هو يستكمل جدله لعله يظفر به هذه المرة ، فيسأل موسى : { قال فرعون وما رب العالمين } ، وها هو فرعون يضيف لقائمة جهله أمرا آخر ، حيث يسأل فرعون هنا عن الماهية وما تستدعيه من شكل أو هيئة أو جنس ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى له هيئة أو شكل أو جنس نستطيع تعيينه وتحديده وإدراك أبعاده ، فما فضله على البشر ؟!! ، ثم أنه ساعتها لا نستنكر على فرعون أو أمثاله أن يعلن أنه إله ، أو حتى أن الاله يتجسد فى صورته ، فلو كان شكل الاله معلوما ، مفهوما تستطيع الحواس إدراكه فكيف يتسنى لنا أن نتأكد من صدق أو كذب من يدعى الألوهية ، وخاصة إذا ادعى أكثر من فرد هذا الشأن ؟! .

فما كان لنبى مرسل أو ملك مقرب أن يدرك ماهية الاله ، ناهيك عن باقى البشر ، ولهذا لجأ موسى فى الرد على فرعون فى استخدام الآثار والصفات والأفعال التى نعرف من خلالها الاله الواحد ، وهى كل ما يستطيع أن يدركه البشر ،فقال :{ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين} ، والمعلوم أن السماوات والأرض شئ يمكن تعيينه، ولا يخفى على أحد من البشر ،كما أنه لن يستطيع أحد من البشر أن يدعى خلقهن .. وكأن موسى بلسان حاله يقول : ربى هو الذى خلق السماوات والأرض ، فماذا خلقت أنت ؟ وهل تستطيع نفى خلقهن عن الله وإثباته لشخصك ؟؟ ....


لقاء مع ابليس
وائل مجدي

لقاء مع إبليس

وبعد انقضاء ساعات العمل الطويلة ، انطلقت فى طريقى إلى ذلك المقهى الذى اعتدت الجلوس فيه متى ما أَلَمَّت بى خاطرة ، أو راودتنى فكرة .

وكعادتها أيام الشتاء بدأت تضطرب حركة الرياح وكأنها قلقة يساورها خطب ما ، وما كان من السماء إلا أنها أفصحت سريعا عن ذلك الخطب ، وشرعت تضرب الأرض بوابل من الأمطار أصاب كل شئ : الطرقات..الشوارع..شرفات المنازل ..البضائع التى كان يفترشها أصحابها على الأرصفة ، وحتى واجهات المحلات الزجاجية التى ظهرت فى أبهى صورها عندما لطمتها حبات المطر فتلألأت بفعل الضوء المنبعث من الداخل وأعمدة الإنارة فى الخارج .

هذا وقد سادت حركة من الهرج والمرج مصحوبة أحيانا بإنفعالات متناقضة فى محتواها ، تزيد وتيرتها حتى تقترب من حالة السخط عند التجار الذين يحاولون إنقاذ بضائعهم ، لتقل حدتها عند المارة الذين يحاولون الإحتماء من المطر وسط إبتسامات ترتسم على وجوههم تتحول أحياناً إلى ضحكات مسموعة تصحبها بعض العبارات اللطيفة ، وبذكر هذا التباين فقد سادت فى النهاية حالة من المرح تتحدى ذلك الإضطراب الكامن فى الرياح وحركتها والأمطار وحدتها وبرودة الجو وقسوتها .

مواصلاً السير سمعت صوتاً من بعيد ،وكأنه يخرج من بوق ليعلن عن قدوم شئ ما يريد أن يكون أحد عناصر هذا المشهد العبقرى .

فيظهر القطار ليمثل آخر لقطات المشهد ، قبل أن أرى فى الأفق شبحا يُلَوِّح لى عند ذلك المقهى المقصود ..

ثم سمعت صوتا مألوفاً ينادينى ، عرفت أنه لصديقى (أحمد) الذى يترقب وصولى أمام ذلك المقهى .



وعلى بعد خطوة واحدة من المقهى حيث يقف (أحمد) ، تصافحنا وتبادلنا التحايا والعناق ، ثم بادرنى سائلا :

أحمد : ما دعوتنى لهذا المقهى إلا وقد كان أمر قد ألم بك ، فياترى ما حدث لك هذه المرة

أنا: وفيم العجلة ، دعنا نجلس نحتسى قهوتنا المفضلة ، ثم نتحدث .

وفى أحد أركان القهوة جلسنا ، وقد قُدّمت لنا القهوة .. أمسكت فنجانى ، وقد زاغ بصرى نحو المشاهد المتفرقة التى تحيط بالمقهى : السيارات الفارهة وألوانها الزاهية ..الباعة الذين تعلو أصواتهم يتغنون بجودة بضائعهم .. الزبائن الذين سرعان ما استجابوا لنداء الباعة وأقبلوا على شراء تلك البضائع وكأن الكلمات التى تغنى بها الباعة كانت لها تأثير السحر ، أو أنهم تلقوا تدريبات مكثفة فى أحد شركات الدعايا والإعلان .. وفى الزاوية الأخرى ذلك الشاب الذى يمسك بأيدى شيخ ضرير يعبر به للجانب الآخر .. ثم ماسح الأحذية الذى يلهث وراء الأقدام ، يراقبها لعله يفوز بأحد أحذيتها وقد أعد العدة ليمارس مهنته التى يتكسب منها قوت يومه..

وبينما أنا أتأمل ذلك المنظر ، وأراقب تلك المشاهد إذ بيد تربت على كتفى تزامنت مع صوت وقع على أذنى يقول : ألهذا دعوتنى ؟؟ مذ جلسنا وعينيك تراقب الشارع ولسانك لم ينطق بكلمة واحدة ؟؟ ولماذا إذا لم تأت بريشتك ، لتصور لنا ذلك المنظر الخلاب ؟!(قالها أحمد فى استهجان وحالة يغلب عليها السخط)

أنا : فلتغضب ،ولكن ماذا عسانى أقول ، وكيف أبدأ وقد قضيت أسبوعا كاد يصيب عقلى بالجنون ، لم أعد أعلم هل أعيش فى حلم أم يقظة ؟!!

أحمد (فى دهشة) : لماذا ؟كيف كان أسبوعك ؟ وما الذى قد يصيب عقلك بالجنون ؟ !!

أنا : على مدار الأسبوع الماضى ، كلما خلدت للنوم رأيت أشياءا كأنها الحقيقة فى وضح النهار ، حتى إذا أفقت من نومى لم أعد أستطع التمييز بين يقظتى ونومى ؟ هل ما دار خلال نومى كان حقيقة أم أنه أضغاث أحلام ...



أحمد : على رسلك ،وحاول أن تشرح لى ما يجرى فقد أصبح عقلى مشوشا لا يسطع أن يتبين كلماتك .

– أشعر وكأن حياتى انقلبت رأسا على عقب ، لم أعد أميز بين يقظتى ونومى ، تمر بى بعض الأحداث ثم أنا لا أدرى إن كانت حدثت فى الواقع أم أنها مجرد أضغاث أحلام .

منذ أيام وأنا مستلقيا على سريرى فى غرفتى أغط فى نوم عميق ، لا أدرى ما الذى جعلنى أفيق من نومى فجأة ، ثم انتابنى شعور بالقلق ؛ وكأنى بأحدهم يراقبنى من قريب ، أشعر به ، لكننى لم أره ، خرجت من الغرفة وفى نفسى حيرة ، وعقلى يتساءل ، وعلامات القلق والتوتر أحس بها تنبع من داخلى يعلو صوتهاليستقر فى أعماقى ، ويتردد صداها ليمر على عقلى فتزيده حيرة عندما يقف عاجزا عن تفسير ما يجرى .

ومرورا بالبهو انطلقت إلى الشرفة ، لعل هذا الهواء البارد الممتزج بسكون الليل ، أن يهدأ من روعى ، ويرفع عنى حالة من القلق والحيرة تصاعدت وتيرتها .

وبعد حوار دام لساعة كاملة ، مع تلك النسائم وسط هذا السكون المهيب ، يبدو أن الهدوء الذى خيم على الليل بدأ يشق طريقه إلى نفسى ، وبدأت أشعر بسكينة ، قررت على إثرها أن أعود أدراجى إلى غرفتى ، لعلى أهنأ من جديد بقسط من النوم بعد عمل يوم طويل وشاق .

وفى طريقى للغرفة ، وأمام عينى رأيت أنوار المصابيح الساطعة أخذت فى الذبول حتى انطفئت تماما ليملئ الظلام أرجاء المكان ، ولتزداد نوبات القلق بداخلى ، ولكن سرعان ما أضاءت المصابيح من جديد ، لأتمالك نفسى مقنعا إياها أن ما حدث هو مجرد حادث نتيجة انقطاع تيار الكهرباء .

وكدت أن أصل باب غرفتى لتكرر نفس الأحداث برمتها وتنطفئ المصابيح ، وقتها خفق قلبى ، وارتعدت أوصالى حتى أن قدمى لم تعد بوسعها أن تحملنى ، واصطكت أسنانى ، وملأ قلبى الرعب ، وبت فى انتظار مفاجآت غير سارة ، تسمرت قدماى ولم أعد استطع أن أنقلها ، غير أننى حاولت



أن أتمالك ثانية ، لتعود المصابيح فتضئ من جديد ، وللمرة الثانية شرعت فى إقناع نفسى أن كل ماجرى كان مجرد حادث .

أغلقت الباب ، واستدرت بوجهى لأسقط طريحا على الأرض حينما رأيت ما كان ينتظرنى على سريرى .

ثم بدت أمام ناظرى ألوان وأطياف تتداخل فيما بينها ، وأحسست كأن نبضات عنيفة تتضارب داخل رأسى تريد أن تفتك به ، أمسكت برأسى محاولا التخلص من هذا الألم الفظيع ، وحاولت أن أفتح عيناى وأدقق النظر لعلى أستطيع أن أكون صورة واضحة الملامح من شأنها أن تشرح ما يجرى ، وأين أنا ولماذا أنا ملقى هكذا على الأرض ومنذ متى وأنا على هذه الحالة .

حاولت أن أستجمع قواى لأنهض وأكتشف بنفسى مايجرى .

فجأة تدفقت الأحداث فى ذاكرتى ، وادركت أننى كنت فى حالة إغماء تبعت حالة من الرعب الشديد كنت قد مررت بها ، وها أنا لتوى قد أفقت من هذه الحالة .

وبدأ الرعب يتسلل لقلبى من جديد ، وعلى صوت قهقهات صاخبة تحولت أنظارى لجسد ملقى على سريرى ، فكاد قلبى أن يتوقف وتجمدت الدماء فى عروقى ، وأصابتنى حالة من الفزع والذعر ، وبدأت أهزى وتصبب العرق منى وكأن حمى قد أصابتنى أو نوبة من الهيستيريا تمكنت منى .

أحمد : وماذا كان هذا ؟؟

- كانت إمرأة مستلقية على سريرى ، كاد صوت ضحكاتها أن يصم أذناى ، ثم اعتدلت وأخذت تصفف شعرها ذو السواد القاتم الذى اصطبغت به الأجواء فى الغرفة .

ثم حدث أمر غريب ، لم أستطع تفسيره حتى الآن ، وهذا ما دفعنى لإستدعائك .

أحمد : كل الأحداث الفائتة لم تكن غريبة بالنسبة لك ، ثم هذا الأمر وجدته غريبا ، يبدو أن الأمر جلل (قالها وعلامات التعجب ترتسم على وجهه ، بصوت لا يخلو من السخرية)

– بعيدا عن نظرات السخرية التى ترمقنى بها ، فقد استدعيتك بالفعل خصيصا لهذا الأمر .

أحمد (ضاحكا) : أنا فقط حاولت التخفيف من حدة تلك الأجواء المشحونة بالأحداث المخيفة ، ولكن ما هذا الأمر الجلل الذى لم تستطع تحمله أو تفسيره .

– انها رسالة .

أحمد : أى رسالة ؟ وممن ؟

– من إبليس .

أحمد : طويت كل هذه المسافة وجئتك لتسخر منى فى النهاية .

– ولماذا أسخر منك ، وعلى أى حال بنفس طريقة استهجانك هذه ، قابلت تلك الجملة عندما قالت المرأة أنها قد أتتنى برسالة من إبليس يدعونى فيها لزيارته .

تم بحمد الله

الفهرس